مراجعات

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية (العدد رقم: 90)

ربيع الأول 1444هـ - أكتوبر 2022م

الصفحة الأولى...

هلال الحجري

واقعُ الترجمة في العالم العربي وآفاقُها (1)

حرص كثير من المُهتمين بواقع الترجمة في العالم العربي على ذكر إحصاءات تُقارِن بين عَدَدِ الكتب المترجمة في الدول العربية مُجتمِعَةً، وعَددِها في دول تنشط فيها حركة الترجمة مثل إسبانيا والسويد واليابان وغيرها، وقد وصلوا إلى نتيجة مفادُها أن واقع الترجمة العربية بائس ومتخلِّف. ولعل في ذلك شيئا من الصحة، ولكني أرى أنّ التركيز على النوع أولى من الكم؛ فلا جدوى من ترجمة أطنان من الكتب لا يقرأها أحد، ونحن نعلم نسبة الأمّيّة في وطننا العربي!

إضافة إلى أنّ الكتب المترجمة حتى الآن، هي حصيلة جهود أفراد أو مؤسسات خاصة، ويغلب عليها الاتجاه الأدبي والتاريخي والسياسي، أما الجانب العلمي فهو غائب ومُهمَّش. إذَن، الترجمة عندنا تسير على غير هُدى، دون تخطيطٍ أو استراتيجيةٍ واضحة. وهذا لا يُقلّل من جهود رُوّاد الترجمة العرب الذين اجتهدوا منذ عصر النهضة في نقل روائع الأدبين الإنجليزي والفرنسي خاصةً إلى العربية بلُغةٍ عالية وأسلوبٍ خلّاق.

من هنا، فإنّ الترجمة لا بُدّ أن تكون خيارا استراتيجيا، وينبغي أن تحققّ لنا هدفين رئيسين: التمكين الحضاري، والتفاعل البنّاء مع الشعوب الأخرى.

وأقصد بالتمكين الحضاري أن تكون الترجمة مشروعًا معرفيا شاملا ينهض بالعالم العربي على كافة الأصعدة فكريا، وعلميا، واقتصاديا، وثقافيا. ولتكنْ لنا عِبْرة في تجارب بعض الدول التي كانت تشاركنا الظروفَ مثل اليابان من حيث وقوعها في براثن البطش الغربي والكوارث التي حلت عليها من جرّاء ذلك، ولكنها استطاعت أن تنهضَ من الرماد وأن تكون لها إرادة تفتُّ الجِبال، وأصبحت الترجمة فيها من الاستراتيجيات الأولى التي مكّنتها من التنافس في حَلَبة الحضارة المعاصرة؛ فاليابان منذ نهضتها في منتصف القرن التاسع عشر إلى الآن، تُولي عنايةً قصوى بالترجمة وتضخ الأموالَ الموجهة توجيها صحيحا للأخذ بأسباب التنمية والتقدم؛ من حيث إعداد المترجمين اليابانيين وتأهيلهم، وإنشاء مؤسسات الترجمة المتخصصة في نواحي العلوم والتقنية والفكر والثقافة، واختيار الكتب المؤثرة في ضروب العلم من مختلف اللغات الحية. كما أنها أنفقت بسخاء على ترجمة الإنتاج الفكري والأدبي الياباني إلى مختلف اللغات ومن بينها العربية؛ وذلك سعيا منها إلى التعريف بالثقافة اليابانية وتصحيح الصور النمطية التي تشكّلت حولها عبر الكتابات الاستشراقية.

وقبل اليابان، علينا أن نتذكرَ أنّ النهضة الأوروبية نفسها قامت أساسا على مشروع الترجمة عبر «مدرسة طليطلة» التي اضطلعت، خلال الفترة بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين، بترجمة كنوز التراث العربي في الفلسفة، والرياضيات، والفلك، والطب. وهكذا كان أساطينُ العلوم العربية من أمثال الخوارزمي، والفارابي، وابن سينا، وابن رشد وغيرهم من بين الشموس التي انقشع بها ظلام القرون الوسطى في جميع أنحاء أوروبا.

وعليه، فإنه لا مَناصَ للعرب اليوم من اتخاذ الترجمة مشروعا حضاريا وتنمويا، إن أرادوا اللحاق بركب الدول المتقدمة.

hilalalhajri@hotmail.com

الإنسان الرقمي: «الحضارة» الآتية
دانييل كوهن

الإنسانوية الراديكالية والمسؤولية السياسية لدى إدوارد سعيد
ماركو غاطو

الأمراض العقلية والمجتمعات من القرن التاسع عشر إلى القرن الحادي والعشرين
نيكولا هينكس وبنونو ماجيروس

الحرب المالية الباردة
هيلين طومسون

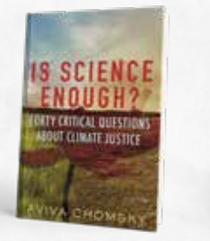

أوروبا الشرقية الكبرى
ألكسندر بوفدونوف

أوكرانيا: الحرب والتاريخ
فرانكو كارديني وفابيو ميني

هل العلم كافٍ ؟: أربعون سؤالاً حاسماً حول العدالة المناخية!
أفيفا تشومسكي

تقنية النانو في تغليف الأطعمة الصالحة للأكل
فيمال كاتيار وتابلي جوش

المستقبل الهش: الاقتصاديات غير المؤكدة للكوارث والأوبئة وتغير المناخ
فيتو تانزي

الصين: كيف يصنع الغرب الأعداء؟
سيرج بيرتييه

مدخل إلى علم الأخلاق
ميشا هـ. فرنر

إصدارات عالمية جديدة

الصفحة الأخيرة

الإنسان الرقمي: «الحضارة» الآتية

دانييل كوهن

محمد الشيخ *

قديماً قالت الصوفية: الصوفي ابن وقته، وقالت الفلاسفة: الفيلسوف ابن زمانه، له أن يحيي روح عصره بأفضل حياة تكون، لكن ليس له أن يقفز على عصره، فإنْ هو فعل ذلك كان شأنه شأن من أراد القفز على ظله. والأَوْلى أن يكون عالم الاقتصاد ابن يومه. وهذا ما فعله عالم الاقتصاد الفرنسي ـ دانييل كوهن ـ بعد أن انتقل هو بنا في توصيف إنسان اليوم من كتابه السابق ـ «الإنسان الاقتصادي» ـ إلى كتابه الجديد ـ «الإنسان الرقمي».

استفتح الكتاب بالإلماح إلى حلقة من سلسلة تلفزيونية بريطانية لاقت نجاحا كبيرا اسمها «المرآة السوداء» تحكي عن قصة شابة فقدت زوجها بعد أن هلك في حادثة سيارة في اليوم نفسه الذي علمت فيه أنَّها حامل منه. وبفضل استقصاء الذكاء الاصطناعي محادثات زوجها المتوفى الهاتفية ورسائله، تمَّ إحياء الزوج إحياء كأنَّه حشر من قبره بنبراته وجواباته عينها عن الأسئلة التي أخذت زوجته تطرحها عليه ... يكمن مغزى هذه السلسلة في مقدرتها على استشراف عوالم المستقبل، وفي اقتدارها على استكشاف مقدرتنا معشر بشر اليوم على قبول استحواذ التكنولوجيا الجديدة علينا أكثر منه الوقوف على حدودها. والحال أن فكرة بعث الموتى هذه بعثا افتراضيا تُثير الذعر في النفوس، لولا أنها باتت فكرة قابلة للتحقيق بفضل برامج الذكاء الاصطناعي. ليس هذا وحسب، وإنما صار التوظيف في الشركات العملاقة يعتمد بدوره على الذكاء الاصطناعي في انتقاء المرشحين بالاطلاع على خوارزميات سائر تفاعلاتهم السابقة عبر الشبكات ورسم صورة مسبقة عمن يكونون. وقس على ذلك الحب الذي استحال صناعة برمجية وقد رُدَّ إلى غريزة الجنس ليس إلا، واختزل مرحلة التعارف إلى المباضعة، وقد استحالت العواطف والرغبات والهواجس المتعلقة بهذه العاطفة النبيلة إلى خوارزميات قلبت الصلات البشرية رأسًا على عقب.

ها نحن ذوو «الثورة الرقمية» التي أعقبت «الثورة الصناعية»، وهي ثورة غير مسبوقة في تاريخ البشر باتت تنحو إلى تغيير المجتمع وتمثلاته تغييرا جذريا؛ إذ في المجتمع الجديد الذي لاحت بشائره ما عاد الأمر يتعلق بشراء بضائع وآلات، وإنما باستهلاك استيهامات فردية أو جماعية. وهكذا، حسب عبارة المؤلف، باتت الثورة الرقمية «تُصَنِّع المجتمع الصناعي نفسه»؛ علما بأن المجتمع ما بعد الصناعي هو المجتمع الذي ما عاد يعتمد على فلاحة الأرض أو صناعة الخيرات وإنما على الاشتغال على البشر أنفسهم: أجسادهم ومخيالاتهم.

ومما طم الوادي على القرى جائحة كورونا؛ حيث بات الفائز في الأزمة هو الشركات الرقمية: أمازون وآبل ونيتفليكس ... وهي التي سمحت بالشغل عن بعد، وبتزويد الناس بالمستهلكات بدل رواحهم إلى المتاجر، وبالترفيه عليهم عوض ذهابهم إلى المسرح أو إلى قاعات العروض الموسيقية. وقد أدرك الجميع مقصد «الرأسمالية الرقمية»: الإقلال ما أمكن من تكلفة التفاعل بين الأجسام، وتوفير جهد المواجهة وجها لوجه بينها، وإحلال الخوارزميات محل سلسلة تنظيم الشغل والإنتاج. فما عاد الأمر يقتضي تدبير الأجساد بأقصى تدبير يكون، كما كان عليه الأمر أيام الثورة الصناعية، وإنما بات تدبير الأنفس ... حيث أمست محركات البحث تقود الأفراد نحو مواقع لقاء أو آراء مواتية لهم، منشئة بذلك ضربا مما يسميه المؤلف «جيتوهات رقمية» جديدة.

وها هي الرأسمالية الجديدة، والتي يدعوها المؤلف «الرأسمالية الرقمية» . وقد كان الأصل في كل رأسمالية التدبير المعقلن، صائرة . ويا للمناقضة! . إلى خلق «إنسان رقمي» غير عقلاني وجموح ومندفع أحق وصف يوصف به هو «المتبلد الرقمي». وهكذا، بدل خلق «ساحة عامة» جديدة للنقاش العقلاني الحر . أو إنشاء «فضاء عمومي لتداول الأفكار» . ها قد طفقت الشبكات الاجتماعية تؤدي إلى إشاعة خطاب جذري يدعو إلى كراهية الخصوم ويحصد ملايين «اللايكات». وقد أظهر هذا أن المرء ما عاد يبحث في الإنترنت عن «أخبار» و«معلومات» وإنما عن «معتقدات» أمست تستهلك كما تستهلك أية بضاعة عادية، وبتنا أمام منطق مسرحية «لكل حقيقته».

ولكي نفهم هذه الظاهرة المستجدة، يدعونا المؤلف إلى استعمال الحس التاريخي. ذلك أن «الثورة الرقمية» عمدت إلى تفكيك مؤسسات المجتمع الصناعي: المقاولات، النقابات، الأحزاب، وسائل الإعلام ... والغريب في الأمر أن هذا «التفكيك» ثمرة مباشرة للصدمة الليبرالية لثمانينيات القرن الماضي التي رامت تمديد السوق والمنافسة إلى كل المديات الممكنة . وبلغة فيلسوف عمان الصحاري: «تبضيع» كل شيء . بلا أية واسطة. وما الشغل عن بعد إلا شاهد على تفكيك الشركات العملاقة لصالح المهام الخارجية والمكافآت الفردية. لكن . ويا للمفارقة! . هذا الوضع هو ثمرة أيضا لنقيض الثورة الليبرالية المحافظة؛ أي للثقافة المضادة التي شاعت في الستينيات من القرن الماضي ثائرة على السلطات والمؤسسات. وإذ هزمت الثورة الليبرالية المحافظة روح الستينيات المتمردة، ها هي هذه الروح تخيم كأنها شبح على الشبكات الاجتماعية من جديد، وقد دمغتها بدمغة معادية للنظام بينما أسست هذه الشبكات . ويا للمفارقة مرة أخرى! . للنظام عينه: «صوت ديلان «الثائر» ويد تاتشر «المحافظة». وبهذا أصبح «الإنسان الرقمي» ينضوي على عش من المتناقضات: وحيد وحنيني، ليبرالي ومعاد للنظام. وقد أمسى فريسة سهلة لمجتمع اختُزل إلى تجمع لأفراد يريدون الانفلات من عزلتهم بتكوين جماعات وهمية. مع تقدم العلم أن الأواصر الافتراضية لا تغني عن الرغبة في العيش الحي الحق. عيش بشر بين بني البشر. وما أمكن اختزال الحياة في ثرائها إلى لعبة فيديو ليس إلا.

لكن، وكما قال الشاعر الألماني: «حيثما المهلكة، فثمة المنجاة». تلك كانت النذارة، أما البشارة فتكمن في أننا لا نعيش في حلقة سلسلة خيال علمي؛ إذ ما استولت التقنيات على كل حياتنا بعد، وإنما توسعت سطوتها وتمدد سلطانها، ونفعت بقدر ما هي أضرت. وقد نفعت من حيث قطعت مع كل خطابات السلطة المتعالية، مفجرة بذلك ينابيع طريقة عيش مستحدثة لا سابق لها في تاريخ الحضارات، طريقة عيش أفقية ودنيوية من دون عمودية المجتمعات الصناعية وتراتبيتها، ومن دون دينونة المجتمعات الزراعية. وإن الطريق لطويل لفهم ما الذي تعنيه هذه اليوطوبيا. على أنه يمكن رسم بعض معالمه في خلاصات أساسية:

يتألف الكتاب من بابين اثنين: الباب الأول عنوانه «الوهم الرقمي»، والباب الثاني عنوانه «عودة الواقع». وكأننا ننتقل هنا عكسيا من الوهم الذي صنعه العالم الرقمي إلى الواقع العيني والمأمول.

في الباب الأول: الوهم الرقمي

يعمد المؤلف في الفصل الأول إلى تبين السمات التي تميز «الإنسان» عن كل من «الحيوان» و«الآلة» بالاستناد إلى أبحاث في الأنثربولوجيا التطورية والفلسفة الحيوية. وينطلق من ملاحظة أن الإنسان حوّل عهد الثورة الصناعية إلى آلة، أما في الثورة الرقمية فالآلة تتحول إلى إنسان. لكن ينبهنا إلى حدود هذه المماثلة؛ وذلك بذكر أن الإنسان يقتدر على ما لا يقتدر عليه أي حيوان، فضلا عن آلة، وهو أن ينشئ نظريات حول كل هذا الذي يحيط به. ثم إن الإنسان لا يفكر وحيدا، على نحو ما قد تقتدر على فعله «الآلة»، بل يفكر في إطار الجماعة من البشر. ومن بين ما يفكر فيه صناعة «التخييل» التي لا يقتدر عليها غيره. ولهذا، لا جماعة بشرية وُجدت، خلاف سائر الحيوانات، بلا دين، بلا محرمات، بلا نسابة، بلا حكايا، بلا سحر، بلا تاريخ، بلا لجوء إلى المتخيل؛ أي بلا تخييل. وهذا يؤكد على سمة الإنسان من حيث كونه يقتدر على تخليق عالم لا يوجد، وتلك عظمته ومأساته في الوقت نفسه؛ ومن هذه الجهة أوتي هو يوم ابتدع العالم الرقمي. وعلى خلاف ديكارت، ما كان العقل

وحده الذي يجعل الإنسان يقتدر على ابتداع المستقبل، وإنما . والحق هنا إلى جانب اسبينوزا . العواطف هي التي تفعل ذلك بالأولى. وما هذه العواطف سوى انفعال للجسد. هذا مع العلم أن الآلة لا جسد لها، ولا عواصف، ولا ذهن؛ فلا تملك بذلك مقدرة البشر على التخيل الخلاق؛ وهي أشبه شيء بالنمل منه بالبشر. وذكاء الخوارزميات ذكاء غبي، إذ يمكنها أن تقتل إنسانا وتروح لتجلب إليه كأس قهوة؛ إذ لا تعي هي ما يحيط بها ولا تقتدر على تخيله. أكثر من هذا، الذكاءات الاصطناعية أقل ذكاء من قطة ينضوي دماغها على ٧٦٠ مليون عصبون، و١٠٠٠٠ شبكة تواصل، ومن كلب يملك ٢,٢ مليار عصبون. وبالجملة؛ يملك الإنسان ما لا يملكه الحيوان، فضلا عن الآلة، المرونة والتكيف مع المحيط. ولهذا من شأن تعويل الإنسان على الآلة التعويل الكلي أن يرتد به إلى الخلف.

وفي الفصل الثاني يستنتج المؤلف النتائج المترتبة عن التعويل على الآلة الرقمية، ليلاحظ أنه وعلى عكس الموعود، فإن التحول الجاري اليوم من شأنه أن ينشئ فردا يتسم بالسذاجة وبغياب الحس النقدي، وهو أمر ناقضته الطباعة وعززته التلفزة والشاشة. إذ ما أن يبلغ الطفل السنة الثانية من عمره حتى يمضي ثلاث ساعات يومياً وأزيد أمام الشاشة الرقمية، ويمضي الأطفال (بين ٨ و١٢ عاما) خمسَ ساعات، و(بين ١٣ و١٨ عاما) سبعَ ساعات؛ بما يعني أن المراهقين يمضون أربعين في المائة من حياتهم اليقظة أمام الشاشة الرقمية. وقد باتوا يعانون من تقلبات في المزاج رهيبة، ومن إدمان خطير؛ بما في ذلك على المواقع الإباحية. ويعتبر المؤلف وكأن الأمر دبر بليل من لدن أصحاب فيسبوك وغيره طلبا للربح من تدبير الأرواح فضلا عن الأجساد. وفضلا عن هذا، بتنا أمام ما يسميه «رأسمالية المراقبة»: أنت مراقب. على أنها رقابة من جنس جديد، لا لتكميم الأفواه، بل بالعكس لإنطاقها؛ أي لدفعها إلى التعبير عن رغباتها وحاجاتها وميولاتها إلى الاستهلاك؛ بحيث يتم إحصاء كل شيء عليك: اهتمامك ببرنامج تلفزي، وطريقة سياقتك، ونظام غذائك ...

وفي الفصل الثالث يعرض المؤلف إلى ظرفية جائحة كوفيد وكيف عززت إدمان «الإنسان الرقمي» على الشاشات الرقمية، متحدثا عما يسميه «تكاملا مذهلا» بين ظهور الفايروس والرأسمالية الرقمية. ويدعونا إلى التمتع بالحس التاريخي لتجلية الأمر: ثمة منزع عميق لدى الإنسان الحديث لإتيان فعل يتربب به: أن يخلق إنسانا اصطناعيا . خوارزميا . على صورته. وتلك مغامرة منه غير محسوبة العواقب ولا معلومة الثمرة. وأشد الأمور اشتكالا نوعية المجتمع الذي سوف ينجم عن هكذا مغامرة.

وفي الفصل الرابع يتحدث المؤلف عما يسميه: المنطق الذي ينضوي عليه الفضاء الرقمي. ذلك أن المفترض في هذا الفضاء تحسين ظروف عيش المجتمعات المتقدمة، لكن المتحصل منه «تفقير» الناس؛ لا سيما الطبقة الوسطى. إذ لَئِنْ أفاد من هذه الثورة الرقمية المضاربون في البورصة، ولاعبو كرة القدم، ومنتجو الخوارزميات، فإن مقدمي الخدمات الحساسة غُمطوا حقهم، بل الأنكى من ذلك أُفقروا؛ مما نجم عنه خيبة أمل

كبرى، وازدياد منسوب العنف لدى الضحايا. وقوّى ذلك من «جماعات سياسية» غير نظامية سعت إلى ملء الفراغ الذي تركته الأحزاب التقليدية وضعف المؤسسات والمقاولات والنقابات التي كانت حاضرة إبان الثورة الصناعية في الفضاء الاجتماعي. على أن الفضاء العمومي الذي وعدت به الثورة الرقمية سرعان ما جعلها تتحول إلى فضاء كراهية ومشاقة وبهرجة معادية للديمقراطية. وما عاد يهمها «الخبر» وإنما المعتقد» الذي يدغدغ العواطف، بل ويخلق عالما حسب رغباتنا. فإذا ما نحن كنا من أصحاب نظرية المؤامرة، فإن العالم الرقمي يخاطبنا: أبشروا، فأنتم بالملايين، وسوف أنسق بينكم حتى تبيتوا ملة واحدة.

الباب الثاني: عودة الواقع

في مقدمة هذا الباب يلخص المؤلف ما انتهى إليه في الباب الأول: حملت بشائر الإنترنت وعودا بذكاء جماعي جديد، وبمنصة ديمقراطية مستحدثة. لكن بدل هذا، نشأ عن الشبكات الاجتماعية تبليد عجيب للحياة السياسية وتنام للشر الذي أتت لعلاجه: العزلة الاجتماعية. كيف انقشع هذا الوهم؟ انقشع «الوهم الليبرالي» الذي اعتقد أن إنشاء مجتمع بدءا من حشد أفراد معزولين، بلا واسطة ولا طقوس عبور ولا هيئات توسطية، أمر ممكن شريطة تمكين هؤلاء من «التواصل». والحال أن تاريخ المجتمعات البشرية يشهد على ضرورة المؤسسات، من دور عبادة وأحزاب وطوائف ومقاولات، تؤثر في الضمير الجمعي وتمنح الأفراد فرصة السمو على الشبكات التي ينتجها تجمعهم. ثم يستأنف المؤلف تحليله بالقول إن هذه اللحمة المؤسسية هي ما ينقص الثورة الرقمية بالذات. ولَئِنْ نحن وضعنا العالم الرقمي في سلم تاريخ البشرية ونظرنا في كيفية تجمّع البشر في مجتمعات، لميزنا بين محورين: أولا؛ من وجهة نظر التفاعلات بين الأفراد، يمكن أن تكون المجتمعات من الصنف العمودي أو الأفقي حسبما إذا هي انتظمت على أساس مبادئ تراتبية أو تعادلية. وثانيا، يمكن لهذه المجتمعات أن تكون دينونية أو دنيوية تبعا لانتظامها على أساس نواميس غيبية أو بشرية؛ مما ينجم عن تآلفه أربعة أنواع من المجتمعات: تعادلية-دينونية، وتراتبية-دينونية، وتراتبية-دنيوية، وتعادلية-دنيوية. وجديد المجتمعات الرقمية أنها تعيش فترة مخاض ولادة هذا الصنف الأخير من المجتمعات. وهو صنف مستجد في تاريخ البشرية؛ بحيث باتت المجتمعات الرقمية ترسي معالم مجتمع تعادلي لا يؤمن اللهم إلا بنفسه، بلا سلطة مرجعية متعالية، أكانت دينية أو حتى مدنية. لكن طريقة تحقق هذا المجتمع من شأنها أن دمرت آليات الإدماج التي وضعها المجتمع الصناعي. ومن ثمة تكمن مفارقة العالم الرقمي المعاصر في أن التفاعل البيني سائد، وهو تفاعل ينجز إنجازا ضيقا وعد العمودية الذي سعى إلى تحقيقه جيل الستينيات الثائر، لكنه يؤدي . ويا للمفارقة - إلى خلق نقيضه الذي هو التفاوتات في غياب وساطات اجتماعية مؤسسية تقليدية. وفضلا عن هذا، من شأن هذه المجتمعات أن تؤدي إلى ازدياد العزلة الاجتماعية وترسيخ مجتمع الارتياب من الغير. وهذا التفسخ الاجتماعي ينتج ذهنية جديدة: ثقافة تفاعل بيني، لكنها قَبَلِيَّة المنحى، ونشأة عالم ما بعد الحقيقة، عالم القبيلة الجديدة؛ حيث كل فرد يروي «مروياته» على الشبكة. وتلك هي مفارقة المجتمع الرقمي المركزية: تاق هو إلى نقاش مفتوح، لكن أعلن عن عجزه عن تنظيم المواجهة بين الأفكار المتعارضة؛ وأحيا رغبة إنشاء مجتمع عمودي ودنيوي، لكنه سجن كل شريحة اجتماعية في قمقمها، وذلك في غياب وساطات اجتماعية. على أن لا مجتمع إدماجي من غير التوفيق بين مطلب العمودية ومطلب الانسجام؛ وإذا ما حقق المجتمع الرقمي هذين المطلبين، فسوف يبين أنَها عن أنّ الأدوات الرقمية صارت مجدية.

يختم المؤلف كتابه بالقول التالي: ينبغي أن نقاوم ضد تذويب العالم الرقمي صلتنا مع الغير ومع الواقع. على أننا لن نبعث الموتى، لا ولن نهاجر إلى كوكب آخر: وإنما علينا أن نقبل العيش رفقة الأحياء وعلى هذا الكوكب.

ثمة ثلاث سمات تميز هذا الكتاب: أولا؛ يعج الكتاب بآراء مقتبسة من فلاسفة وعلماء سلوك حيوان وعلماء اقتصاد وسياسة وإعلام رغم أنه قد يجنح أحيانا إلى السرد على حساب التحليل، وتحكمه هواجس داروينية جديدة في التحليل الاجتماعي، وقد يتيه أطوارا التيه في تفاصيل ... ثانيا؛ أراد صاحب هذا الكتاب أن يكون تحليلا اقتصاديا واجتماعيا لما سماه المجتمع الرقمي، وفي نفس الوقت تعليقا على أهم الأحداث التي عشناها في الفترة الأخيرة؛ بما فيها أزمة كوفيد والحرب الروسية الأوكرانية. ثالثا؛ الكتاب عبارة عن تلخيص لكتب واختصار لنتائج دراسات وعرض لنظريات ... فهو جولة علمية ونزهة أدبية حتى وإن تخللتها طورا بعض الأدغال والمتاهات. لا بأس.

الكتاب : الإنسان الرقمي: الحضارة الآتية

المؤلف: دانييل كوهن

دار النشر: ألبان ميشيل

سنة النشر: 2022

* أكاديمي مغربي

الإنسانوية الراديكالية والمسؤولية السياسية لدى إدوارد سعيد

ماركو غاطو

عزالدين عناية *

تُهيمن على الكتاب الذي نعرضه رؤية تحليلية بارزة، ميّزت مختلف المحاور، وذلك من خلال انشغال صاحبه بمتابعة المدارس الفكرية والفلسفية التي أثّرت في تكوين المفكر الفلسطيني الأمريكي إدوارد سعيد وفي صياغة أفكاره. وقد أولى الباحث ماركو غاطو في مؤلفه الأخير اهتمامًا بأعمال كاتب عربي أبرز من خلالها وجها مهمّا لمفهوم الالتزام بشتى أبعاده، وإن لم تكن لهذا المؤلف اهتمامات سابقة بالثقافة العربية.

نشير إلى أن ماركو غاطو هو باحث إيطالي من جيل الباحثين الجدد الذين يطبع انشغالاتهم الانفتاح على القضايا العالمية والهاجس الإنساني، وهو من مواليد ١٩٨٣. ينتمي الباحث في تكوينه وفي عمله إلى قسم الدراسات الفيلولوجية في جامعة كالابريا الإيطالية. وعمله المعنون بـ «الإنسانوية الراديكالية والمسؤولية السياسية لدى إدوارد سعيد»، هو من الأعمال التحليلية النقدية التي تتابع أساسا فلسفة النظرية الفكرية لدى إدوارد سعيد وخلفياتها النضالية الإنسانوية. فقد مثّل إدوارد سعيد في الفكر الغربي محطة بارزة، سواء في المجال الفكري أو المجال السياسي، بنقده الجذري للأطروحات الاستشراقية، أو في مجال ربط المعرفة بالالتزام السياسي والنضال الحركي. وهما خاصيتان قلّما توفرتا لغيره من الكتّاب في الحقبة المعاصرة، مما بوّأه منزلة معتبرة على الساحة العالمية. فقد رحبت الأوساط الفكرية المنتقدة للخيارات الرأسمالية وللرؤى المركزية في الحضارة الغربية بكتاب «الاستشراق» لسعيد واحتفت به أيما احتفاء. وبلغ تأثير دراسات إدوارد سعيد في الاستشراق وفي الدراسات الغربية حول الآخر حدّ التأريخ لحقل الدراسات الشرقية، بما قبل إدوارد سعيد وما بعده، لما أسهم به من تجديد.

إذ الشيء اللافت في المسار الفكري لإدوارد سعيد، وهو ارتباط المعرفة لديه ببُعد عملي، وبهمّ نضالي. لذا يرصد الباحث مسار الالتزام بالشأن المدني لدى إدوارد سعيد، وهو التزام رافق مساره الفكري عموما وطبعه بطابع المسؤولية التي ظلت حاضرة في أعماله؛ فقد تميز انشغال سعيد بالشأن الأدبي والفكري والسياسي بطابع عملي مشرَّع على إنسانوية منفتحة، تتجاوز المجال الوطني والحيز القومي اللذين يتحدّر منهما. ولعلّ ذلك الاصطفاف الواضح جنب القضايا العادلة الذي ميز سعيد، والدفاع عن الحركات التقدمية والتحررية واستقلال الشعوب، والانفتاح الإنسانوي على فضاء رحب، هي العناصر البارزة التي يسّرت قبوله شرقا وغربا، باعتباره مفكرا كونيا ملتزما يشتغل على المادة الفكرية. يحلل ماركو غاطو أعمال إدوارد سعيد، ويسعى إلى استخلاص الجانب النضالي الإنساني منها، كما رشح من أعماله الأدبية أو الفكرية أو السياسية. فليس نص المفكر إدوارد سعيد، وفق المؤلِّف الذي نعرضه، نصا مفصولا عن توظيفاته الاجتماعية والسياسية، وإنما يأتي في قلب الخيارات.

يرصد ماركو غاطو مصادر إنسانية عدة في خطاب إدوارد سعيد، تستند في جوهرها إلى نضال ذي طابع كوني ميّز صاحبها. وهي سمة كما يرصد الباحث من سمات كبار المفكرين والمناضلين الذين تبدو لهم البشرية جمعاء بمثابة العائلة الواحدة وإن كانت تتهددها مخاطر من الداخل، تتمثل في التفريق الطبقي والاستغلال الاقتصادي وما شابه ذلك. وعلى ما يرصد مؤلف الكتاب، فقد جاء إدوارد سعيد من ساحة النضال الكوني باتجاه قضية فلسطين، وباتجاه قضايا العالم الثالث عموما. ولم ينطلق من قضايا الذات والوطن والثقافة المحلية، بل جاء مما هو كوني إلى ما هو محلّي، وهو ما أضفى مصداقية على طروحاته وأفكاره. فلم تكن فلسطين، ولا العالم الثالث، ولا الفئات المستغَلّة، المنطلق لدى إدوارد سعيد؛ بل انضمت مختلف تلك العناصر إلى البؤرة التي تنصهر فيها المسؤولية السياسية والالتزام الفعلي، اللذان طبعا مسار إدوارد سعيد الفكري. وضمن هذا السياق الرحب والمنفتح الذي تحرك فيه سعيد، لم تمثّل فلسطين منطلَقا له في نضاله الإنساني، بل شكلت جانبا من خصومته مع عقل رأسمالي غربي مهيمن، يسعى بإصرار إلى إخضاع العالم لمشيئته ودفع مساره نحو مصائر تتحكم بها قلّة.

فليست منتجات الأدب والفكر والفن، وفق إدوارد سعيد، عناصر بريئة، كما يبدو الأمر للوهلة الأولى، وإنما هي أدوات حاضرة في ساحة التأثير والانخراط ضمن توجّه محدد وغايات مقصودة، أي بما يعني في الخيارات الكبرى الاجتماعية والسياسية. وهو ما أفاض ماركو غاطو في شرحه والبرهنة عليه من خلال استدعاء جملة من النصوص، والمداخلات، والمواقف التي أدلى بها إدوارد سعيد وعبّر فيها عن هذه الفكرة الجوهرية لديه. لقد بذل المؤلف جهدا مقدّرا في شرح هذه الثيمة في فكر إدوارد سعيد، وذلك بمتابعة آثاره التي لم تهمل حواراته أو مقالاته، علاوة على التركيز على مؤلفاته الأكاديمية الواسعة الانتشار وبلغات متعددة.

ثمة وجه آخر يرصده غاطو في مؤلفه، فهو يعتبر إدوارد سعيد من رواد التفكيكية على مستوى كوني، بما سعى إليه من كشف للأساليب والأدوات التي تعتمدها القوى المهيمِنة في السيطرة على الفئات المستضعَفة وعلى الجماعات الهشة، وذلك من خلال تحليل الخطاب السائد في الفكر والأدب والفن، فضلا عما يسود في الإعلام المروَّج. وقد اعتلى سعيد تلك المنصة الشامخة بفضل العتاد النقدي الثري الذي وظّفه، وهو ما مثّل نقيضا فاعلا ضد مقولات صراع الحضارات أو التقابل الصدامي بين الشرق والغرب، ولعل هذا الرأي هو ما يلخّص مضمون كتاب ماركو غاطو. فليست المسألة بين الحضارات والثقافات، كما يرى إدوارد سعيد، وإنما هي بين أطراف مهيمِنة وجموع تبحث عن التحرر وتقرير المصير، بما يُخرج مدلول الصراع من مدلولاته الرأسمالية التوظيفية إلى مدلول إنساني أرحب.

الكتاب مميّز في موضوعه ولا سيما في تركيزه على جانب من جوانب اهتمامات إدوارد سعيد الفكرية.

فإدوارد سعيد ابن مدرسة فكرية نضالية بامتياز تمتح من أنطونيو غرامشي وجورج لوكاش وآخرين وفق الكاتب. ولكن البين أنّ إدوارد سعيد وإن اعتمد النقد والتحليل في رؤاه، فقد كان دائما منفتحا على مختلف المدارس التحليلية دون انغلاق في رؤية حصرية. ولعل تجاوز الانخراط الإيديولوجي هي الميزة البارزة لإدوارد سعيد مقارنة بغيره من النقاد المنخرطين ضمن أنساق إيديولوجية.

من جانب آخر تفتقر الساحة العربية إلى كتاب تحليلي من هذا الصنف، وإن تكن جملة من أعمال إدوارد سعيد مترجمة إلى اللسان العربي فإنّ الكثير من الأبحاث والدراسات التي تحلل فكره، والمنجزة بلغات غربية، تبقى غائبة في العربية. وهو ما يجعل مؤلف غاطو جديرا بالترجمة لمتابعته الدقيقة التي تتعلق بالالتزام السياسي والنظرية الفكرية لدى إدوارد سعيد؛ إذ أن مؤلف الكتاب غاطو يحرص على إبراز العنصر التفكيكي العميق الذي ميز فكر سعيد، في تعامله مع الثقافة عموما. فمن خلال تحليل الخلفيات التي تسكن أعمال إدوارد سعيد الفكرية يرنو الباحث إلى إعادة رسم دور الأدب ومهامه، باعتباره التزاما ومسؤولية أو لا يكون. فهناك روح نضالية محتدمة تخترق أعمال سعيد تطفح بها جلّ أعماله، يحاول المؤلف الإيطالي الإمساك بأبعادها ومتابعة تعرجاتها.

يستدعي ماركو غاطو للغرض، في مؤلفه، الأدوات السيميائية في رصد محاور الالتزام السياسي لدى إدوارد سعيد. إذ يعتبر سعيد الساحةَ العالمية ساحة صراع فكري وتدافع سياسي، بين مهيمِن ومهيمَن عليه، وبين أطراف متحكمة وأخرى يراد لها الاتباع والإذعان. وفي غمرة هذا التدافع المحموم بين ثقافتين وبين موقفين، فإنّ الرصيد الذي يدعم ثقافة الالتزام، الهمّ الإنساني والانفتاح على الكوني، يجعلها منطلقة من الإنسان وعائدة إليه. ومن خلال بيان عناصر تلك الثنائية تتوزع الأطاريح الفكرية التي حاول سعيد دحضها ونقيضتها التي حاول إثباتها. لكن هذا التقسيم الثنائي لا يبدو جامعا مانعا، وفق الكاتب ماركو غاطو، إذ تبدو ثقافة المهيمِن فاعلة ومؤثرة في ثقافة المهيمَن عليه ومؤثرة على خياراته ومساراته. لذا تعجز أدوات الطرف الأخير أمام وطأة الهجمة، والافتقار إلى القدرات اللازمة للوقوف أمام الآلة الثقافية الكاسحة للمهيمِن، وذلك في غياب الوعي البنيوي، ولهذا لطالما ألحّ سعيد على أنّ الثقافة المقاومة ما لم تعِ عناصر هذه اللعبة، وما لم تدرك موازين القوى السائدة في الساحة الثقافية، فإنها توشك أن تنحصر وتتراجع لتفسح المجال لغريمتها.

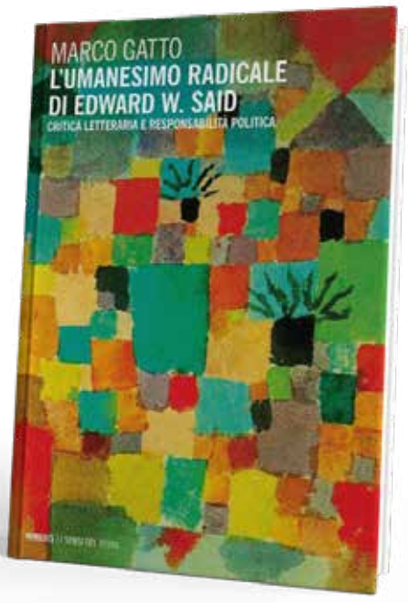

نشير إلى أن المؤلف ماركو غاطو لم يسبق له أن أصدر أعمالا تتناول الثقافة العربية أو تعنى بقضاياها، القديمة منها أو الحديثة، وإن سبق له إصدار مجموعة من الأعمال الأخرى نذكر من بينها: «الماركسية الجديدة لدى فريدريك جامسون.. الديالكتيك والنظرية الأدبية» (٢٠٠٨)؛ «غلين غولد والنغم المادي.. نحو علم جمال المقاومة» (٢٠٠٩)؛ «الماركسية الثقافية.. الجماليات والسياسة في الأدب الغربي» (٢٠١٢)، وهي أعمال في مجملها تندرج ضمن تحليل الخطاب وتتبع المدارس الفكرية والأدبية. وقد يسّر له ذلك تخصصه في المسائل الفيلولوجية ذات الصلة بالواقع الاجتماعي والتحولات السياسية.

اعتمد المؤلف أدوات تحليل الخطاب الأدبي في نصّه بقصد الإلمام بأبعاد مقول إدوارد سعيد. وهي أدوات تذهب إلى غور الإلمام بالرموز والدلالات والاستراتيجيات المتحكمة بصنع الخطاب. وأقدّر أن الكاتب قد وفّق في الإحاطة بموضوع بحثه الذي حدّده. غير أنّ الرؤية الإيديولوجية لصاحب الكتاب التي تبدو بارزة، قد فوّتت عليه أحيانا الإلمام بالحسّ النقدي المشرّع الذي سكن إدوارد سعيد حتى في تعاطيه مع القضايا الإنسانية. وبرغم هذه النقائص في الكتاب بدت لغة الكاتب متينة، وهي تكشف عن مقدرة في الإحاطة بالعالم الفكري لإدوارد سعيد، وعن متابعة مدققة للقضايا التي شكلت الهاجس الدائم لسعيد. فالكاتب يبدو على إلمام واسع بأدوات المدارس الأدبية المتنوعة، لا سيما منها التي تشكلت في الغرب، غير أنّ نظرته الإيديولوجية أحيانا منعته من التفطن إلى ضيق الرؤى اليسارية في تناول شخصية مركبة مثل شخصية إدوارد سعيد؛ إذ كان سعيد توظيفيا للأدوات والمدارس دون موالاة عمياء للتوجهات الإيديولوجية.

أما على مستوى توزيع الكتاب وتبويبه، وعلى مستوى الفهرسة المعتمدة، فقد تضمّن البحث فهرسا للأعلام، فضلا عن جرد بالمصادر الغربية في لغات عدة مع غياب كلي للمصادر العربية. ونظرا إلى أن الكتاب ينشغل تحديدا بعالم الأفكار والنقد، فقد غابت الرسوم والجداول والخرائط من البحث، وهي كما نرى لا تمثل نقيصة في بنية النص. من جانب آخر نشير إلى أن الكتاب قد لقي متابعة متواضعة في الأوساط الإعلامية، ولا سيما منها المهتمة بإرث إدوارد سعيد، حيث احتفت به مجموعة من الصحف والمجلات الأدبية في إيطاليا نظرا لدقة الموضوع وعمقه. ونشير كذلك إلى أن الكتاب على أهميته، فهو لم يترجم بعد إلى العربية، وإن بلغني أنه مرشّح للترجمة إلى لغات غربية أخرى.

ووفق تقييمنا العام لهذا المنجز الفكري الجاد، يحوز مؤلف «الإنسانوية الراديكالية والمسؤولية السياسية لدى إدوارد سعيد» مكانة بارزة في سلسلة الأعمال المنجزة حول فكر سعيد. ويبدو الكاتب قد التزم خطة بحث واضحة أوفى في الإحاطة بها، وهو ما يجعل كتابه مرجعا متميزا في تناول أحد الجوانب المهمة في دراسة فكر إدوارد سعيد. معتمدا في ذلك على الأعمال الصادرة بالألسن الغربية، ومتّبعا التقاليد العلمية المعهودة في الكتابة الأكاديمية؛ فالخلفية النقدية للمؤلف جعلت نصه محلًّا للمركزية الغربية في شتى أوجهها ومظاهرها؛ إذ يُبرز الكاتب الوجه الإنساني لإدوارد سعيد بعيدا عن الاتهامات التي لحقته من بعض الأطراف اليمينية أو الصهيونية التي انتقدت خياراته وتوجهاته. وبرغم بعض النقائص التي تخلّلت الكتاب، جراء منزعه الإيديولوجي الواضح، فإن المتانة العلمية التي صاغ بها هذا المؤلف الشاب نصه، والجودة العالية التي ميزت موضوعه، تنمّان عن قدرة وتمكّن من الأدوات المعرفية في النقد، وتكشفان عن متابعة واستنطاق للآثار الأدبية التي خلّفها الراحل إدوارد سعيد.

الكتاب: الإنسانوية الراديكالية والمسؤولية السياسية لدى إدوارد سعيد

تأليف: ماركو غاطو.

الناشر: دار ميمزيس (ميلانو) ‹باللغة الإيطالية›.

سنة النشر: 2022.

عدد الصفحات: 194ص.

* أكاديمي تونسي مقيم بإيطاليا

الأمراض العقلية والمجتمعات من القرن التاسع عشر إلى القرن الحادي والعشرين

نيكولا هينكس وبونوا ماجيروس

سعيد بوكرامي *

يقدم كتاب «الأمراض العقلية والمجتمعات من القرن التاسع عشر إلى القرن الحادي والعشرين» مقاربة تاريخية لمظاهر الجنون وعلاجاته وتجارب المحللين النفسيين على مدى القرنين الماضيين في البلدان الغربية وفي المناطق الاستعمارية وما بعد الاستعمارية.

تهتم الدراسة من جهة بالسؤال العلمي عن أسباب تغلغل الجنون في المجتمع، وعن مكانته الراديكالية في الخطاب الأكاديمي، ومن جهة أخرى بمسألة حدوده المنهجية والمعرفية التي شكلت سلسلة من المظاهر ذات الطبيعة المتنوعة، المستعارة من الدين أو الجماليات أو من الانحرافات الفردية والجماعية. كما شكل العلاج النفسي على مر التاريخ تحديًا للتصنيفات العلمية؛ فكانت أحد المحركات الرئيسية لتطوره. إن تداول الأفكار والمفاهيم النفسية والتوسع المُستمر لفئاتها يميل إلى الانتشار وبشكل متزايد في المجتمعات التي تتعرض للضغوطات النفسية والاجتماعية والاقتصادية. لهذا، شهدت نهاية القرن العشرين اهتماما كبيرا بالصحة النفسية وأسباب الجنون وطرق علاجه. وفي هذا السياق، يسعى الكتاب أيضًا إلى وضع مقدمة تاريخية جديدة للجنون والطب النفسي الذي ظهر على مدار العشرين عامًا الماضية، فإذا كان هذا التاريخ يعتمد على التاريخ النقدي الذي ظهر نتيجة أعمال ميشيل فوكو والتاريخ الاجتماعي خلال السبعينيات، فإنه يتميز بتجديد الموضوعات والمشكلات التي أسهمت في إلقاء نظرة جديدة وعميقة على هذا التاريخ؛ مما أدّى إلى تجاوز الجدل العقيم الذي عارض التاريخ الأكاديمي والتاريخ المهني للطب النفسي، دون إغفال قضايا الرقابة الاجتماعية وأساليب التطبيع مع الأمراض العقلية؛ فإن الاهتمام بالثقافات المادية، وبناء الطبقات الاجتماعية، وتشكيل الخبرات الذاتية والحميمة، كلها أسئلة جديدة ستكون في قلب هذا الكتاب الفريد.

لطالما أعطت العلوم الإنسانية والطب النفسي صورة جذرية وغيرية عن الأمراض العقلية. ومع ذلك، فقد لعبا دورًا تأسيسيًا في المجتمعات الأوروبية المعاصرة، سواء كان ذلك تعبيرًا عن سلسلة من نقاط القصور الطبي والاجتماعي أو تمثيلًا مرتبطًا بالعبقرية والجريمة، فإنهما كشفا عن الاضطرابات والانقلابات الاجتماعية الكبرى التي عرفها الإنسان المعاصر. وبذلك يمكن القول إن الكتاب عبارة عن مقدمة لتاريخ علاقة مجتمعاتنا بالأمراض العقلية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين وخلاصة للإنجازات التاريخية في الأربعين عامًا الماضية، التي تبدأ بالتاريخ الاجتماعي والثقافي لتصل إلى العلم والتكنولوجيا. يجيب الكتاب عن تساؤلات عديدة منها: كيف تعاملت المجتمعات الغربية المعاصرة مع ظاهرة المرض النفسي منذ القرن التاسع عشر؟ وكيف قامت العلوم الإنسانية والاجتماعية، منذ السبعينيات بتحليل وتفسير علاقة مجتمعاتنا بالأمراض العقلية؟ من هذين السؤالين قام عالما الاجتماع نيكولا هينكس والمؤرخ بونوا ماجيرو ببناء دراستهما التاريخية لـ «تاريخ الأمراض العقلية وعلاجها الاجتماعي في الأزمنة المعاصرة» (ص ٣). ولبلوغ مراميهما؛ اختار المؤلفان هيكلة الكتاب في أربعة فصول تتوافق مع الأبعاد الرئيسية الأربعة للعلاقة التي تربط مجتمعاتنا بالمرض النفسي: «الفضاءات» و«المعارف» و«الممارسات» و«التجارب».

يشير الفصل الأول، المخصص لفضاءات الطب النفسي، إلى أن رعاية المرض النفسي وتجربته ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالترتيبات المكانية والمؤسسية التي تجري داخلها عملية العلاج. في القرن التاسع عشر، كان المكان الرمزي لعلاج الجنون هو الملجأ. بناءً على نظرية العزلة، التي بموجبها تعمل مؤسسة اللجوء كوسيلة للعلاج والشفاء، وهي تبني استراتيجيتها على رؤية متفائلة لتحسين حياة الأفراد من خلال التربية المستوحاة من فلسفة التنوير، فأصبح الحجز أو العزل تدريجيا ممارسة مهيمنة في إدارة الأمراض العقلية في القرن التاسع عشر. لقد حقق المؤرخون على نطاق واسع في الاشتغال الداخلي لهذه المؤسسات، بين الانضباط والعلاج والحياة اليومية؛ من أجل تسليط الضوء على وظيفتها الشاملة، ودور الهندسة المعمارية في تصنيف الأفراد، وأهمية الوجود والأشياء في تجربة الجنون. ومع ذلك، فإننا نلاحظ أن أول لحظة «مضادة للعلاج النفسي» في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، ستشهد على ميلاد جغرافية نفسية جديدة تتجسد في ثلاثة فضاءات: الحديقة، والمدينة، والمستعمرات. تعمل الجهات الفاعلة الجديدة والفئات الطبية والنفسية والمؤسسات الجديدة على تطوير وإخفاء تفويض اللجوء، استنادًا بشكل خاص إلى موضوع أمراض الحضارة (المرتبطة بالحياة الحضرية، والحياة اليومية، وغير ذلك). منذ الخمسينيات من القرن الماضي، أصبحت الجغرافية النفسية أكثر تعقيدًا: فأصبح العلاج المؤسسي موضع تشكيك وتساؤل وظهرت العديد من التجارب (مثل العلاج النفسي المؤسسي). وبدأت تكتسب فكرة «إزالة الطابع المؤسسي» أرضية تدريجية، وبدأنا نشهد في الواقع تحولا في فضاءات وأساليب رعاية الأفراد، فصار الاستشفاء النفسي جزءا لا يتجزأ من حياة بعض الناس و أماكن الطب النفسي خففت الحجز والعلاج القسري، وبذلك انتقل الطب النفسي من الفضاءات المؤسسية الصارمة إلى نوع من «العلاج خارج المستشفى» أو نوع من «إعادة التأهيل».

يسعى الفصل المخصص للمعارف إلى فهم العلاقة بين إنتاج المعرفة حول الاضطرابات النفسية والسياقات التاريخية والاجتماعية التي تحدث داخلها. يذكرنا المؤلفان أنه إبان تأسيس المعرفة النفسية، انتشرت ممارسات التصنيف التي كانت تعم بين شبكات مختلف الفاعلين في المؤسسات المشرفة على العلاج النفسي. في القرن التاسع عشر، عملت التصنيفات كنظم محلية مرتبطة بالأطباء؛ مما مكنهم من بناء الدروس والتعليمات، وبذلك رسخوا شرعيتهم. في النصف الثاني من القرن العشرين، تطورت حالة التصنيفات واستخداماتها نحو نوع من المعايرة على المستوى الدولي،(على سبيل المثال الطبعة الثالثة من الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية الذي نُشر في عام ١٩٨٠، حيث أدت كل مراجعة للكتاب إلى إثارة الخلافات التي تجاوزت بكثير حدود الطب النفسي.) ص ٥٥. انطلاقا من وجهة نظر تاريخية، فإن الكتاب تناول العلاقات بين المجتمعات والأمراض العقلية من زوايا مختلفة، بين التاريخ الثقافي والمنظور البنائي ودراسة المعاني

الاجتماعية للفئات. إن ثراء وتنوع هذا العمل يشهد على الصعوبة الشديدة في حل لغز دور العمليات الاجتماعية في تشكّل الظواهر المرضية. أما الجانب الآخر من هذا اللغز - البحث عن الأسس البيولوجية للأمراض العقلية - هو أيضًا يمثل قضية مركزية طوال الفترة الزمنية المدروسة، وقد طرحت الكثير من الفرضيات حول جينات الأمراض العقلية في مطلع القرن العشرين خصوصا مع النفوذ الجديد الذي اكتسبه علم الأعصاب في فجر القرن الحادي والعشرين. وقد تميزت هذه الفترة أيضًا بالإثبات، الذي أكد فيه بعض الممارسين والعلماء، إلى ضرورة أخذ العواطف والذاتية بعين الاعتبار، سواء من المنظور المعرفي أو العلاجي، أثناء ممارسة التحليل النفسي.

أما الفصل الثالث، المخصص للممارسات، فيركز على التطورات الحديثة في تاريخ الطب النفسي المستلهم من تاريخ التقنيات، ويضع في صميم أجهزتها البحثية المفاوضات والتوترات التي تكمن وراء العلاجات النفسية وتطورها. لهذا؛ يستثمر الكتاب مصادر جديدة، ولا سيما السجلات الطبية. لفترة طويلة، كان تاريخ الممارسات النفسية محصورا في بديل غير منتج، يرى في ممارساته إما أداة للعلاج والشفاء والتحرر، أو أداة للسيطرة الاجتماعية والقمع والضبط. ومع ذلك، فإنَّ المواجهة مع أنواع أخرى من المصادر غير خطابات الأطباء النفسيين والأطباء تجعل من الممكن إضاءة وتحديد أساليب ممارسة العلاج بالإكراه، حيث نظم هذا الأخير تدريجيا وبشكل صارم خلال القرن العشرين (وهذا تحت تأثير عوامل مختلفة، بما في ذلك الارتفاع العام في مستوى المعيشة، مما جعل العنف المؤسسي أقل احتمالا وقبولا) ص ٦٧. أما فيما يخص مسألة الشفاء، فيبرز التاريخ خصوصية مجال الأمراض العقلية من حيث المعنى الذي يُعطيه الفاعلون لهذا المفهوم، بين التقييم الكمي (علم الأوبئة) وهدف إعادة الاندماج في المدينة. هذا المعنى الثاني، الذي ظهر في مطلع القرن التاسع عشر واستمر إلى اليوم مع حركة التعافي التي تهدف إلى استقلالية الناس وتقدير تجربة المرض العقلي بشكل إيجابي. فيما يتعلق بتطور العلاجات النفسية، تعتبر نهاية القرن التاسع عشر فترة غنية جدًا. تضاعفت الطرق (التنويم المغناطيسي، والعلاج بالإيحاء وغيرهما) ولم يصبح التحليل النفسي هو الأسلوب السائد إلا منذ الثلاثينيات؛ فقد شهدت نهاية القرن العشرين أيضًا ظهور تقنيات جديدة مثل(العلاج التحليلي والنفسي الديناميكي، والعلاج النفسي الديناميكي، والعلاج المعرفي السلوكي، و العلاج الإنساني، والعلاج المتمركز حول الشخص، وعلاج الجشطالت، والعلاج الجهازي،والعلاج المنهجي وعلاج المكافأة، وعلاج اليقظة...) التي تجاوزت الإطار الطبي، وكانت مع ذلك جزءًا من نسيج مؤسسي حدد بوضوح وبشكل

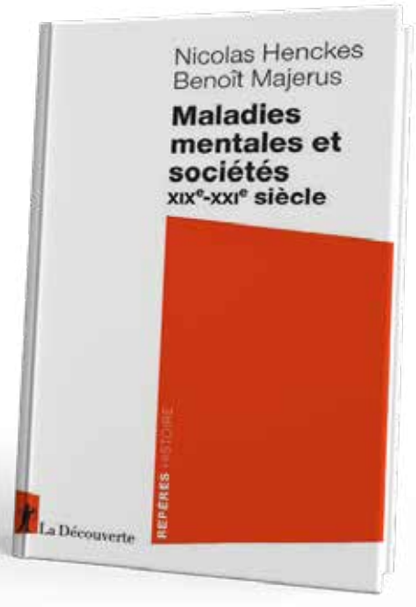

متزايد من طرف معظم الدول. أخيرًا، تناول المؤلفان قضية الأدوية من خلال تحليل التحكم في تداول المنتجات وتأثيراتها على العقل. وفي هذا السياق، يعودان إلى دور علم الأدوية النفسي في تعريف مفهوم العلاج ذاته، بالإضافة إلى نتائج هذه الأخيرة على ممارسات العلاج، مع التذكير بالأزمات المختلفة التي أثرت على علاقة الطب النفسي بالأدوية منذ السبعينيات.

يركز الفصل الأخير على («التجارب») ويهتم بوجهات نظر الأشخاص المتعددين الذي جاوروا المرض النفسي أو كانوا فاعلين في علاجه. لقد تطور هذا المنظور في سبعينيات القرن الماضي انطلاقا من ملاحظة أن هؤلاء كانوا ضحايا لتصورات ضعيفة أو حتى مشوهة تعتبر (المصحات ملتقى للبؤس الاجتماعي أو الجنون). ترتبط هذه الفجوة بعائق منهجي كبير: لا يمكن إطلاقا الوصول إلى تجربة الناس بشكل مباشر. ومع ذلك، حاولت بعض الأعمال التغلب على هذا الإحراج من خلال التأكيد على قدرة الأفراد على مقاومة التصنيف والتفاوض بشأن هويتهم، على الرغم من مجهودات مختلف الجهات الفاعلة والمؤسسات الحاضنة للرعاية النفسية.كما قام الكتاب بتحليل الممارسات الملموسة واليومية للأشخاص الذين يمارسون الطب النفسي، مستعيدة الدور المركزي للجانب العقائدي وتوثيق العمليات المختلفة لإضفاء الطابع المهني على طاقم التمريض خلال القرن العشرين. في الوقت نفسه، فرض المرضى وعائلاتهم حضورهم بشكل تدريجي كجهات فاعلة مستقلة مطالبة بتحسين الرعاية النفسية، مثل حركة «الناجين» للطب النفسي في أمريكا الشمالية، وهي الحركة التي أدمجت تدريجياً في النموذج الطبي.

هذا الكتاب عبارة عن حصيلة بحثيّة وافرة وديناميكيّة، تغنيك عن عشرات المراجع، حتى وإن كان تقسيم الكتاب إلى أربعة أبعاد مثيرة للاهتمام، فإنه يبدو في بعض الأحيان سطحيًا بعض الشيء؛ لأنَّ هذه الأبعاد في الواقع معقدة بالضرورة . لكن في المقابل، يوفر الكتاب للمهتمين بوصلة في منتهى الإفادة عندما يرغب الدارس على الخصوص استثمار عنصر يرتبط بهذه الأسئلة الشائكة. وبالتالي، فإن البحث في مجال الطب النفسي، على سبيل المثال، يتطلب قدرًا كبيرًا من الاهتمام بالمعرفة المنتجة، سلفا كما هو الحال مع الفضاءات التي يتداول فيها، ومع الممارسات التي يعتمد عليها، والتجارب التي يقوم بوصفها وتحليلها وعلاجها. يطور الكتاب أيضًا مقاربة تاريخية وصفية ونسبية، مع إبراز الصعوبات التي تواجه الدارس أحيانًا والمتمثلة في التمثلات المحرفة أو الساذجة أو القديمة عن تاريخ الطب النفسي. وبذلك يفرض الكتاب نفسه كمعيار ومصدر قيم لأي شخص يرغب في مواجهة هذا «التحدي الكبير» (ص ١١٠) الذي يتمثل في محاولة الفهم التاريخي والاجتماعي والأنثروبولوجي للأمراض العقلية. وبدلاً من أن يعرض الكتاب تصنيفا «للأمراض العقلية»، وتعريفاتها على مدى القرنين الماضيين وما رافقها من تجاوزات علمية وعجز فكري، وفقًا للمصطلحات المستخدمة من قبل المتخصصين البلجيكيين والفرنسيين، فإنه يوفّر مقدمة لتاريخ الممارسات التي يضمها هذا التخصص الطبي المعروف بالطب النفسي، والذي يتغذى بدوره على مجالات أخرى من البحث مثل علم الاجتماع أو حتى على النشاط الفني. إن المقاربات العلاجية لـ «الجنون»، التي قُدّمت على أنها اختلاف جذري منذ القرن التاسع عشر،ثم تطورت إلى أنواع عديدة من التدخل، تراوحت بين العزل وفتح أماكن الرعاية، وتأكيد الأسباب التشريحية، والنظر في العوامل الذاتية والحساسة، وبين القيود والأولوية الممنوحة للاندماج في المدينة. يتم ذلك في حدود التغيرات التقنية والأيديولوجية والسياسية التي ميزت هذين القرنين، ويبدو أنَّ طريقة فهم المرض النفسي ومحاولة علاجه والتفكير فيه كانت تعرف طوال سيرورتها مدا وجزرا بين التقدم والتراجع والثبات والتحول، والفشل والنجاح.

الكتاب: الأمراض العقلية والمجتمعات من القرن التاسع عشر إلى القرن الحادي والعشرين

المؤلفان: نيكولا هينكس، وبونوا ماجيروس

الناشر: دار لا ديكوفيرت، باريس، فرنسا.

تاريخ النشر: 2022

عدد الصفحات: 110 ص

اللغة الفرنسية.

* كاتب ومترجم مغربي

الحرب المالية الباردة

هيلين طومسون

محمد السالمي *

منذ الأزمة المالية العالمية عام ٢٠٠٨م، تصاعدت التوترات بين الولايات المتحدة والصين بسرعة. وقد ظهرت بشكل جلي عندما فرضت إدارة ترامب تعريفات كبيرة على الواردات الصينية. وعلى الرغم من الانتقال إلى الإدارة الجديدة في البيت الأبيض، لا يبدو أن ذوبان الجليد في العلاقة مطروح على المدى القريب.

في كتاب «الحرب المالية الباردة: نظرة على العلاقات الصينية الأمريكية من الأسواق المالية»، يدرس جيمس فوك البعد الجيوسياسي في العلاقات الصينية الأمريكية من خلال عدسة الأسواق المالية. يتتبع الكتاب تاريخ تطور الأسواق المالية في كلا البلدين والنظام المالي العالمي الحالي القائم على الدولار الأمريكي، إلى جانب عرض التطورات الجيوسياسية والجيواقتصادية بين الصين والغرب من القرن الثامن عشر إلى يومنا هذا. ويسلط فوك الضوء أيضاً على الدور الذي تلعبه هونغ كونغ كوسيط لتدفقات رأس المال بين الصين وبقية العالم. وختاما، يقدم الكتاب بعض الحلول المقترحة لمعالجة المكامن الرئيسية للصراع لتهدئة التوترات الجيوسياسية بين الصين والغرب.

وللتعريف بالمؤلف، فجيمس فوك له باع طويل في ميدان الأسواق المالية حيث شغل العديد من المناصب منها: مسؤول تنفيذي في بورصة هونغ كونغ والمقاصة (HKEX)، ويعمل مستشارا لبورصة لندن للمعادن. كما أنه عضو في المجلس التنفيذي للجمعية الدولية لخدمات الأوراق المالية (ISSA)، ويعمل في اللجنة التوجيهية للمنتدى المالي الآسيوي. تتمحور أعمال فوك حول قضايا هيكلة الأسواق المالية، وخاصة المُتعلقة بتدويل الأسواق المالية في الصين والأمن المالي الدولي، كما له العديد من المنشورات التجارية.

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء: أولاً، موجز للتاريخ المالي للولايات المتحدة والصين ابتداءً من أسرة مينغ إلى الوقت الحاضر. وفي الجزء الثاني يأتي الكتاب بعنوان «الرأسمالية ذات الخصائص الصينية»، ليناقش صعود الصين إلى مصاف الدول المتقدمة والخصائص التي قادتها لذلك. أما الجزء الثالث، فيعرض موجزا للعلاقات الصينية الأمريكية، والتفاوت في الإدارة المالية لكلا البلدين، إضافة إلى دور الأسواق في القرن الحادي والعشرين.

يجادل الكتاب بأن التوترات الصينية الأمريكية المعاصرة يمكن إرجاعها إلى جذور مالية واضحة. على الجانب الأمريكي، يستشهد المؤلف بـ«معضلة تريفين»، التي تزعم أن عملة بلد ما لا يمكن أن تكون بمثابة العملة الاحتياطية الافتراضية في العالم دون أن يتكبد ذلك البلد عجزا تجاريا، مدفوعا بتضخم سعر صرفه. وبالتالي، يجب على الولايات المتحدة أن تشجع باستمرار على استيعاب الدولار للحفاظ على انتشارها المالي العالمي، وهي بذلك تضحي بالقدرة التنافسية لصادراتها. وهناك عناصر أخرى للقصة الأمريكية، كما يشرح فوك، توضح كيف أن مركزية الدولار قد أفادت التجارة والاستثمار الدوليين، وقد أصبحت مصدرا للقوة الأمريكية؛ رغم أنها أدت أيضاً إلى اختلالات مالية وأسهمت في عدم الاستقرار الداخلي. مهدت السياسات المحلية، مثل الضرائب واختلالات نظام الإنفاق الحكومي الذي يستهدف الجيش في المقام الأول، بدلا من البنية التحتية الرئيسية، الطريقَ لنمط نمو غير متوازن إلى حد كبير. هذه الحجة تتوافق مع الكثير من الآراء وهي أن تخصيص الدولة للموارد لعب دورا محوريا في مكافأة الأثرياء بشكل غير متناسب، على حساب البقية.

أما على الجانب الصيني، فقد كانت الدولة المستفيدَ الرئيسي من إصلاحات تحرير السوق التي تديرها الدولة والتي قام بها قادة مثل دنغ شياو بينغ، وجيانغ زيمين وغيرهم. ومع ذلك، فإن مثل هذه التغيرات الثورية فضلت أيضًا بشكل غير متناسب الصناعات والشركات التي كان لديها أكبر قدر من المكاسب من تراكم رأس المال والسيولة. أدّى الانتقاء الحكومي المتقن وخطط التمويل متعدد الجنسيات إلى اتساع فجوة عدم المساواة الاجتماعية والاقتصادية. ويؤكد فوك أنه على الرغم من النمو الاقتصادي السريع وتقييد التحرير المالي محليا، فقد نتج عن ذلك اختلالات هيكلية وغير مستدامة.

يفترض فوك أن عدم المساواة داخل الصين وأمريكا أفضى إلى تحول رجعي نحو القومية الشعبوية. كما ترك الاختلال المالي الهائل العديد من صانعي السياسات في بكين وواشنطن غير مرتاحين بشأن الوضع الراهن؛ فقد ترك الأول عرضة للسياسات النقدية الأمريكية، في حين أن الأخير لم يتمكن من خفض قيمة عملته بسهولة لدعم الصادرات وتقليل الديون.

ويمكن القول إن السياسات المالية والصناعية والنقدية فشلت في كلا البلدين في كبح جماح التفاوت المفرط في الدخل والثروة. ومع هذا التفاوت، فإنه يغذي البعد القومي والشعبوي مرورا بالاستقطاب السياسي، مثل الحرب التجارية التي شنتها رئاسة ترامب، والتوترات الجيوسياسية بين الدولتين. وأخيرًا، يؤكد فوك أن الحرب الجيواقتصادية المتفاقمة ستكون مكلفة لكلا الجانبين. ونظرا لترابطهما الاقتصادي، فإن كلا من الولايات المتحدة والصين لديهما مصلحة قوية في معالجة تلك المجالات من النظام المالي والنقدي العالمي التي تحتاج إلى إصلاح. ولكن من المفارقات أن هذا الاعتماد المتبادل هو بالضبط الذي أسهم في تدهور العلاقات بين الولايات المتحدة والصين في

المقام الأول.

ومن خلال القيود والفرص التي تخلقها الأسواق المالية للسياسة الخارجية والاقتصادية للولايات المتحدة والصين، يحدد الكتاب ثلاثة مسارات ممكنة للإصلاح تتمثل في إنشاء عملة احتياطية عالمية جديدة، وإعادة توازن الحيازات الاحتياطية للحد من دور الدولار الأمريكي؛ والاحتواء التدريجي للعجز المالي الأمريكي.

ولتفسير هذه المسارات، يؤكد الكاتب أن هناك طلبا مستمرا على الدولار لأنه العملة المهيمنة للتجارة؛ وهذا يبقي قيمتها مرتفعة مقارنة بالعملات الأخرى. وهذه القيمة المرتفعة تقلل من القدرة التنافسية للولايات المتحدة. ويؤدي فقدان الوظائف الناتج عن ذلك إلى تغذية التوتر السياسي. بالإضافة إلى ذلك، يتعين على الولايات المتحدة، باعتبارها الشركة المصنعة الاحتكارية للدولارات، أن تزود العالم بما يكفي منها لدعم الأسواق؛ مما يعني إصدار الكثير من الديون. فإذا نما الاقتصاد الأمريكي بسرعة كافية، قد لا تكون خدمة هذا الدين مشكلة؛ ولكن عندما يتباطأ النمو، كما حدث مؤخرا، فإن عبء الديون قد يصبح ساحقا. يمكن الإشارة إلى أنه في العقود التي تلت الحرب العالمية الثانية كان من الممكن إدارة المخطط؛ لأنَّ الأسواق العالمية كانت أصغر بكثير مقارنة بحجم الاقتصاد الأمريكي. والآن، مع وجود روابط أعمق بكثير بين الأسواق، فإنَّ التكاليف التي تتحملها الولايات المتحدة من النظام القائم على الدولار اليوم تتجاوز فوائده. كما لا ننسى أن الصين زادت بشكل مطرد من تطورها المالي مع التركيز على زيادة أهمية عملتها.

بناء على ذلك، يرى فوك أنه بدلا من الانخراط في سباق تسلح جيواقتصادي بين البلدين، يمكن اللجوء لسياسة «التدمير المالي المتبادل» حيث ستنطوي بدورها على تعميق الاعتماد المتبادل بطريقة تجعل من غير المتصور أن تمارس الولايات المتحدة أو الصين ترسانتيهما الماليتين ضد بعضهما البعض في أسواق المال، وبالتالي تعزيز السلامة لكليهما.

على سبيل المثال، يمكن للأسواق الغربية قبول السندات الحكومية الصينية كضمان للقروض. وهذا من شأنه أن يخفف من ضغط الديون على

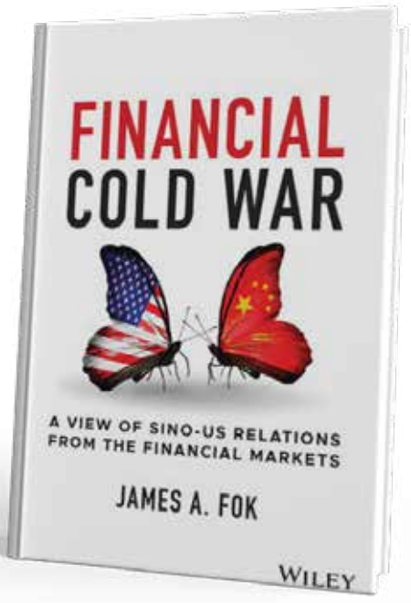

الولايات المتحدة؛ لأنها لن تحتاج إلى إصدار عدد أكبر من السندات لتليين أو تسييل الأسواق العالمية. في المقابل، ستستفيد الصين من خلال خلق الطلب على اقتراضها الخاص، حيث أن ارتفاعه سيسهم لتلبية متطلبات الرعاية الاجتماعية لمجتمع سريع الشيخوخة. وسيتم الاحتفاظ بالسندات في حسابات إيداع في هونج كونج، وهي سوق تحكمها قواعد يفهمها الغرب، ولكنها أيضا جزء من الصين.

ومع ذلك، يكمن التحدي الأكبر في تآكل الحماية؛ فالصين نفسها تشعر بأنها عرضة لهذا الضبط في الوقت الحالي كما هو حال العقوبات الأمريكية على روسيا. إن تعريض المستثمرين الغربيين لمخاطر مماثلة هو النظير غير المريح لجعل السياسة المقترحة ناجحة.

أما الاقتراح الآخر لدى فوك، فهو أن الصين يمكنها أن تسمح لمواطنيها بالاستثمار في الخارج إذا كانت هذه الأوراق المالية محتجزة في هونغ كونغ. وهذا من شأنه أن يساعد المدخرين الصينيين على كسب عوائد أفضل، كما ستتمكن الشركات الغربية من الوصول إلى رأس مال العديد من صغار المدخرين الصينيين، وهو مصدر عوائد تتجاوز الاستثمار المباشر في الشركات المملوكة للدولة؛ حيث يشكل نقل التكنولوجيا مصدر قلق حقيقي.

يجادل النقاد بأن محاولة فوك لضم النقاط بين الاختلالات المالية، وتراجع القدرة التنافسية للصادرات في أمريكا، والتقسيم غير المتكافئ للغنائم على جانبي المحيط الهادئ، والتحول نحو النزعة العسكرية والقومية، هي محاولة خيالية ومثيرة للإعجاب على حد سواء. لاريب أن تتبع صُنّاع السياسات وممارساتهم ومعاييرهم مفيد للغاية في تسليط الضوء على التاريخ الذي يسترشد به اللاعبون الرئيسيون في عملية صنع القرار. ومع ذلك، فإن هذا الطموح المفاهيمي يشكل نقطة ضعف أساسية في منهجية فوك. ولعل عجز الكتاب يكمن في توفير قدر من الاختبارات الإحصائية والتحقق من الفرضيات السببية المعروضة. إن إلقاء اللوم على «معضلة تريفين» والتطور التاريخي لنظام بريتون وودز في أوجه عدم المساواة التي تعاني منها أمريكا اليوم، ربما يتطلب المزيد من الأدلة والبراهين في تفسير أين يتم تقييد الحلول البديلة لعدم المساواة بشكل منهجي، وكيف أن الجهات الفاعلة المتواطئة التي تثير عدم المساواة قد استفادت من الوضع المهيمن للدولار الأمريكي في الخارج.

في الختام، هناك العديد من الناس يعرفون جيدا التاريخ الاقتصادي بين الولايات المتحدة والصين، ولكن بالنسبة لأي شخص مهتم بالتاريخ المالي والمستقبل بين هاتين القوتين العظمتين، يجب أن يضع هذا الكتاب ضمن قائمته. يسلط كتاب جيمس فوك الضوء على العلاقة المتوترة بين الولايات المتحدة والصين اليوم. وكذلك التحديات التي تواجه الاقتصاد العالمي في العصر الحديث. استخدم جيمس فوك وجهة نظره الفريدة لتحليل التقاطع بين التمويل الدولي والاقتصاد الصيني لتقديم رؤى للبعد الجيواقتصادي الجديد. صُنِّفَ هذا الكتاب في قائمة الفايننشال تايمز لأفضل الكتب الاقتصادية لعام ٢٠٢٢م.

عنوان الكتاب: الحرب المالية الباردة: نظرة على العلاقات الصينية الأمريكية من الأسواق المالية
المؤلف: جيمس فوك
الناشر: Wiley
سنة النشر: ٢٠٢١
عدد الصفحات: ٥١٢

* كاتب عُماني

أوروبا الشرقية الكبرى

ألكسندر بوفدونوف

فكتوريا زاريتوفسكايا *

أوروبا الشرقية منطقة ذات لون وطابع خاص جدا، وهي منطقة مركزية للجغرافيا السياسية الكلاسيكية.. تكمُن أهميتها في دورها المفتاحي في مواءمة القوى في أوراسيا وعلى الساحة العالمية أيضا، فضلا عن أنها منطقة ذات تقاليد وحدود عائمة، ولماذا لا نقول إن المنطقة نفسها عبارة عن حدود بذاتها: حدود بين روسيا من جهة، وبؤرة أوروبا القارية من جهة أخرى.

لذلك؛ من الطبيعي أن تُصبح المنطقة نقطة اهتمام لدى الباحثين الروس من مختلف المشارب العلمية بدءا من السياسة والجغرافيا، وصولا إلى الدراسات الاجتماعية والثقافية، بينهم من يقدم رؤيته للمنطقة في ضوء السياسة القومية الروسية المعاصرة مثل الأستاذ والباحث السياسي والصحفي ألكسندر بوفدونوف بكتابه الجديد «أوروبا الشرقية الكبرى» والذي يجعله بحق ممثلا للمدرسة الجيوسياسية الأوراسية الجديدة.

يعمل ألكسندر بوفدونوف في دراسته متعددة الأوجه على فهم الوظيفة الجيوسياسية لما يعرفه الباحثون عمومًا بأوروبا الشرقية، ويسعى لإيجاد أفضل البدائل السياسية والفلسفية والثقافية للوضع الحالي في المنطقة. ينطلق الباحث في تقصيه لتلك البدائل، إلى جانب تصوير مستقبل وتنظيم جيوسياسي مختلف لأوروبا الشرقية، من التراث الفكري لأوروبا الشرقية نفسها.

لذلك؛ فإنَّ مُعظم عمله مكرس للمفاهيم الجيوسياسية للماضي والحاضر، وتلك التي ولدت على وجه التحديد في بلدان المنطقة ولم تستورد من الخارج غربا أو شرقا، ومنها أفكار فلاسفة وسياسيين بارزين من بلغاريا ورومانيا والمجر وصربيا والبوسنة وغيرها من دول المنطقة.

فيما يتعلق باللحظة الجيوسياسية الراهنة، يشير المؤلف إلى حقيقة أنه منذ ظهور مفهوم «أوروبا الشرقية» في القاموس الجيوسياسي، تم اعتبار هذه المنطقة مساحة عازلة تسمح للقوى البحرية العظمى، وبصفة أساسية بريطانيا العظمى وفرنسا ثم الولايات المتحدة، بفصل روسيا بشكل مصطنع عن أوروبا القارية بقيادة ألمانيا؛ وبالتالي الحؤول دون توحيد أكبر قوتين قاريتين.

لقد اكتسبَ مُصطلح «أوروبا الشرقية» اعترافا كبيرا وتأسست عليه النظريات الجيوسياسية الأطلسية كما انعكس في إجراءات السياسة الخارجية للدول الغربية، لا سيما في الفترة بين الحربين العالميتين وأيضا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتصفية مجلس التعاون الاقتصادي (كوميكون) وهي المنظمة الاقتصادية التي جمعتْ بين الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية.

ويُؤكد المؤلف أنه من الجائز حاليا تصنيف موقع أوروبا الشرقية الحديثة في البنية الجيوسياسية للعالم كمنطقة نفوذ للولايات المتحدة. ويتجه جزء كبير من قادة بلدان هذه المساحة الجغرافية نحو المنظمات الأطلسية كما تعتبر قيادة دول أوروبا الشرقية نفسها بؤرة استيطانية للغرب والهيآت الأطلسية في الشرق. ومع ذلك، فإنَّ المؤلف يستشرف احتمالا قويا داخل المنطقة نفسها لتغيير دورها الجيوسياسي. يقول: «في الآونة الأخيرة تزايد التشكك الأوروبي وخيبة الأمل من النظام الديمقراطي الليبرالي وقيم المجتمع الغربي الحديث في أوروبا الشرقية. إن رفض عموم السكان لقيم العولمة وعدم رضاهم عن الإصلاحات الليبرالية الأخيرة في المجال الاقتصادي والأزمة الاقتصادية المتفاقمة، كل ذلك يجعل مواقف النخب السياسية في هذه الدول متزعزعة (ص ١٢).

إن تحليل الاتجاهات الموجودة داخل أوروبا الشرقية، الداعمة لفكرة عالم متعدد الأقطاب، وتحليل مفاهيم مثقفي أوروبا الشرقية حول مكانة ودور أوروبا الشرقية في النظام الدولي أتاحت للمؤلف التوسع في بحثه وأن لا يقتصر على التدقيق في القضايا النظرية للتعددية القطبية بل المضيّ في تطوير نموذج جيوسياسي يتوافق مع المصالح الوطنية لكل من روسيا ودول أوروبا الشرقية. يقول: «إن روسيا مهتمة بشكل أساسي باقتراح مشروع لأوروبا الشرقية يقوم نظريًا على الخصائص الإثنية والثقافية والحضارية لمجتمعات أوروبا الشرقية» (ص ١٣) بعدها يتساءل الباحث عما إذا كان بإمكان أوروبا الشرقية أن تكون نموذجا لواحدة من المراكز الناشئة لعالم متعدد الأقطاب؟

ومن المحتم، والحال كذلك، أن يلجأ ألكسندر بوفدونوف في دراسته إلى أعمال إدوارد سعيد؛ حيث يرسم أوجه شبه مثيرة للاهتمام بين الشرق وبلدان أوروبا الشرقية: «تم بناء الصورة الجغرافية لأوروبا الشرقية باعتبارها شيئا معيبا مقارنة بأوروبا الغربية. نجد في أوروبا الشرقية، كما هو الحال في البلقان بشكل خاص، صورة عناصرها التخلف والعدوانية والاضطرابات والتناقضات المتعددة وعدم توافق المعايير الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية الأوروبية المقبولة؛ ولا يمكن إزالة هذه الصورة أو الختم لمجرد المحاججة بأن أوروبا الشرقية براء من هذه السمات التي وسمها بها الغرب (...) إن هذه الصورة الفكرية الجغرافية لأوروبا الشرقية تشبه صورة الشرق الذي نظر فيه إدوارد سعيد، الصورة المصممة من قبل الأوروبيين الغربيين لتشكيل واقع خيالي تكمن فيه النيات الاستعمارية للغرب (...) ومن وجهة نظر منهجية، من المثير للاهتمام أن إدوارد سعيد اقترب مباشرة من فهم الوظائف السياسية للصورة الجغرافية» (ص: ٢١، ٢٢) وهكذا يتم تقديم صورة أوروبا الشرقية في الكتاب باعتبارها أحد الاشتقاقات لمفهوم الاستشراق لدى إدوارد سعيد.

إلى جانب أوروبا الشرقية يهتم جزء من الكتاب بتحليل الخطاب في أوروبا الوسطى؛ حيث يمكن تفسير هذه التسمية (أوروبا الوسطى)، ومعها الخطاب المتعلق بها، على أنها محاولة للتغلب على عدم التوافق الثقافي والحضاري لأوروبا الغربية مع جيرانها الشرقيين، وقد دشن هذا الخطاب في النصف الثاني من القرن العشرين وكان مثاله الكلاسيكي المقال الشهير الذي وضعه الكاتب التشيكي ميلان كونديرا بعنوان «مأساة أوروبا الوسطى» وفيه يقدم

فهما لموقع بلاده في الحضارة الأوروبية. ووفقا لرؤية الباحث الروسي فقد «أنشأ ممثلو النخبة الفكرية لدول أوروبا الشرقية أسطورة أوروبا الوسطى كأنها جزء لا يتجزأ من الفضاء الثقافي والحضاري الأوروبي العام، والتي أضحت مقطوعة عن بقية أوروبا عند ظهور الجيش الأحمر السوفيتي. إن صورة أوروبا الوسطى كجزء من الكل الأوروبي، التي أنشأتها الأوساط الفكرية، ثابتة في المجتمع وتؤدي إلى ظاهرة «الاستشراق اليومي». أثبت ذلك عالم الاجتماع البريطاني د. يانغسن في بحثه عن بلدين من البلقان: صربيا وكرواتيا جاء تحت عنوان «الاستشراق اليومي.. تصور البلقان وأوروبا في بلغراد وزغرب» وقد وصف فيه كيفية تشكل صورة البلقان باعتبارها صورة سلبية بسبب تناقضها، ولن تعتدل هذه الصورة إلا حين يبدأ الصرب والكروات في اعتبار أنفسهم أوروبيين ومدافعين عن أوروبا وقيمها. علاوة على ذلك، وفي حالة كرواتيا، يتلقى المصطلح المحايد والشعبي «البلقان» دلالة سلبية يرتبط بالصرب والشيوعيين فقط، لذا فإن كرواتيا تنسب نفسها إلى أوروبا لا إلى البلقان. هناك مثال واضح على رمزية أوروبا في زغرب وذلك حين استبدلت تسمية دار السينما الشهيرة البلقان بدار سينما أوروبا (ص ٢٨).

وفي الكتاب، يتم إيلاء اهتمام خاص بالنخب الفكرية والسياسية في بلدان هذه المنطقة التي تحاول القضاء على مفهوم «أوروبا الشرقية» بتصوراته السلبية وإضفاء طابع التميز على الخصائص القومية الأصيلة. فالأطلسي العقلاني، كما يؤكد المؤلف، يؤمن بوجود حدود للقيم وحدود للعقل تفصل بين أوروبا الغربية والشرقية، ولكنه لا يعمل فرقا كبيرا في ذلك بين أوروبا الشرقية وروسيا، فهنا وهناك يوجد زعيم قوي غير مسؤول أمام البرلمان، والثقة الكبيرة في المؤسسات الدينية، والموقف المحافظ فيما يتعلق بالأسرة.

ويشير الباحث إلى أن أوروبا الشرقية منطقة تنطوي على أكبر اختلال للتوازن بين بلدان العالم حيث التضارب في اتجاهات القيم عند الشعوب والتوجهات الجيوسياسية للنخب السياسية. يفسر الباحث ذلك كنتيجة منطقية لعملية تطوير الليبرالية في هذه البلدان، والتي تهدف إلى تحرير الفرد من جميع أشكال الهوية الجماعية. وفي هذا السياق، فإن التطور التكنولوجي وتصور التكنولوجيا الغربية الحديثة باعتبارها طريقا إلى المستقبل، إلى جانب التحرر بمفهومه الغربي، كل ذلك يؤدي في النهاية إلى دحر

الهوية القومية والإنسانية.

وفي مقابل الهوية على أساس «أوروبا الشرقية»، يقدم الكتاب مفهوم «الصحوة» أو مفهوم «أوروبا الشرقية الكبيرة» بتسمية أخرى. إن بلدان شرق أوروبا، وخاصة رومانيا، تتمتع بتقليد فكري راسخ وعريق، وبالنسبة لها لا يمكن أن يكون مفهوم «أوروبا الشرقية العظيمة» مفهوما جغرافيا، إذ يتعلق بنموذج التقاليد والحوار الشعبي وإيقاظ الهوية. في هذا السياق يكرس الباحث عدة فصول من كتابه للفكرة الفلسفية المعاصرة في المنطقة.

وتتجه أنظار الباحث إلى رومانيا قبل غيرها، فهي دولة ذات تقاليد فلسفية متطورة، أعطت العالم مفكرًا ذا أهمية عالمية مثل ميرسيا إلياد، كما أنتجت نظاما فكريا أصيلا، ينعته المؤلف بالنظام المثير للدهشة، والذي أسسه لوسيان بلاجا. يقول الباحث عن رومانيا وتراثها الفكري باعتبارها أحد المراكز المؤهلة لصحوة بلدان المنطقة: «من المنطقي بالنسبة لرومانيا أن تستمر في هذا التقليد الفلسفي - تقليد فهم الموقع الفريد الذي تحتله شعوب أوروبا الشرقية في العالم، وتقليد التحول إلى الجذور الأراكشية لهوية أوروبا الشرقية وذلك مع فهم الحدود التي تفصل المنطقة عن الشرق والغرب على حد سواء، وفي هذا الموقف نرى رفض الهمجية التي يفرضها الغرب الأوروبي على الشرق، علاوة على الموقف الإيجابي تجاه الشرق» (ص ١٨٨).

ويرى الكاتب أنَّ أحد أكثر مفكري المنطقة قربا من لوسيان بلاجا هو رئيس البوسنة والهرسك في سنوات التسعينيات الصعبة، المفكر الإسلامي علي عزت بيجوفيتش، الذي نشر في منتصف الثمانينيات كتاب «الإسلام بين الشرق والغرب». لقد أثار هذا العمل اهتمام الباحث الروسي بحقيقة أن عزت بيجوفيتش قدم نقدًا حادًا جدا للإلحاد والمادية والتقنية في عصرنا، فكل ما يأتي من غرب أوروبا في نظره يتقنع بأسس علمية بينما الجوهر مادي صرف.

وبالنسبة للفلسفة البلغارية في القرن والنصف الماضي، يرى المؤلف أن عددًا كبيرًا من الفلاسفة البلغاريين، وبدلاً من البحث عن طرق أصيلة للتعبير عن الفكر البلغاري، صبوا اهتمامهم في نقل وترجمة الأفكار والمفاهيم الأوروبية، فكانت خياراتهم تتراوح ما بين الفلسفة المادية اليسارية أو النيتشوية والفرويدية وأنواع مختلفة أخرى من المثالية. وعلى هذه الخلفية يلفت الباحث الانتباه إلى فيلسوف لا يكاد أن يكون معروفا خارج بلغاريا رغم شهرته، الفيلسوف نادين شتانوف (١٨٩٠-١٩٧٠) الذي أثار مسألة تشكيل الفلسفة البلغارية الأصلية بناءً على توجهه إلى التقاليد الشعبية والفولكلور والتاريخ القديم للأرض الأم التي يعيش عليها البلغار منذ آلاف السنين.

ويتضح من الاستنتاج العام أنَّ أيَّ بحث جيوسياسي يركز بطريقة أو بأخرى على الفائدة العملية، فالجغرافيا السياسية تقليديا تخصص منخرط في السياسة العملية ويعمل على تطوير توصيات للسياسة الخارجية لدولة معينة، في حين لم يقتصر هذا الكتاب على الجيوسياسية؛ إذ يبحث مؤلفه في الاستخدام النفعي العملي للمفاهيم الفلسفية ويقدم صورة جيوفلسفية للمنطقة. يتعلق الأمر بإعادة التفكير في هوية أوروبا الشرقية في إطار نموذج فكري متعدد الأقطاب مع احترام شعوبها وتقاليدهم ومصالحهم. وتكمن الفكرة الأساسية التي يحاول الكاتب نقلها للقارئ أن أمام أوروبا الشرقية إمكانية للتحول من منطقة عازلة تشتبك بالحدود، وميدان لألعاب القوى الجيوسياسية المتعارضة، لتصبح مساحة لإحياء وتقوية الحوار التقليدي بين الحضارات.

الكتاب: «أوروبا الشرقية الكبرى»

المؤلف: ألكسندر بوفدونوف

الناشر: دار «يا أس كا»، موسكو، 2022م، باللغة الروسية

عدد الصفحات: 480 صفحة

* أكاديمية ومستعربة روسية

أوكرانيا: الحرب والتاريخ

فرانكو كارديني وفابيو ميني

فاتنة نوفل *

هذا الكتاب مُثير للاهتمام لسببين أولهما: إنه صَدَر عن دار نشر تابعة لصحيفة تنتقد روسيا بشدة و«معادية لبوتين» وثانيهما: أنه يحمل توقيع مؤلفين بارعين في مجالين مختلفين: فرانكو كارديني المؤرخ وأستاذ تاريخ العصور الوسطى والكاتب الذي يعرف روسيا جيدًا وفابيو ميني وهو لواء في الجيش يعرف الناتو وخبير في الموضوعات الاستراتيجية والجذور التاريخية للصراع.

يُعبران فيه بلغة مباشرة وبقاسم مشترك بينهما، وهو التنديد بمسؤوليات أمريكا الجسيمة في الحرب، ويشتركان في الدقة في تحليلاتهما؛ مما يجعلهما قادرين على التغلب على السطحية التي تكثر في تحليل الصراع الروسي-الأوكراني؛ حيث يخرج المؤلفان عن السياق السياسي المعمول به بالعودة إلى الحقائق المُدْرَجة في قائمة دقيقة من التسلسل الزمني وليس على الدعاية الإعلامية المتداولة. الكتاب مُقَسَّم الى جزءين يبدأ المؤرخ كارديني في الجزء الأول منه بإعادة بناء الأحداث التاريخية التي أدت إلى ٢٤ فبراير ليؤكد فيه أن «الإيطاليين والغربيين في الغالب ما زالوا فاشلين في فهم سبب بدء الغزو الروسي»؛ لأنهم -بتضليل الإعلام والسياسيين- لم يدركوا أن الأمر لم يبدأ بإعلان بوتين عن تلك الحرب، حيث تَتَبع الأسباب الجذرية للصراع من تفكك الاتحاد السوفياتي وتاريخ القومية في كييف وتَوَسُّع حلف شمال الأطلسي إلى الشرق وتدخل واشنطن في السياسة الأوكرانية، وهي نقاط البداية لتقديم إجابات تفصيلية على الأسئلة التي يطرحها الجميع، بينما يفحص الجنرال ميني الوضع على الأرض في ضوء العقائد العسكرية الحديثة في إطار مُعَقَّد تاريخيًا وجيوسياسيًا؛ حيث من الصعب إعادة بناء الأحداث التي أدت إلى الوضع الدراماتيكي الحالي بسبب المعلومات الجزئية والتي تركز بشكل كامل على الوقائع وليس على الحقائق، وأن لكل صراع جذوره في الماضي ومعرفتها تساعد على فهم اليوم لينتهي إلى نتيجة أن «الأمريكيين مقتنعون بأن أوكرانيا ستفوز بدعمهم، ولكن إذا خسرت فإنها ستؤدي»فقط» إلى نهاية أوروبا وحلف شمال الأطلسي دون الإضْرار بالمصالح الأمريكية التي ستستفيد بشكل كبير». في عام ٢٠٠٢ وفي أعقاب ١١ سبتمبر، أراد بوتين تجاوز غورباتشوف وكان يهدف إلى تعاون مشترك آمن يشمل أمريكا. في ذلك الوقت كان الخطر الأكبر الذي شعر به الجميع هو الإسلام وكيفية محاربته، ولكن في غضون سنوات قليلة كانت هناك نقطة تحول لم يلاحظها الغربيون، أو أنهم أدركوها متأخرين.

في عام ٢٠٠٣، عندما اكتملت التحولات إلى الأنظمة الجديدة في بلدان حلف وارسو السابق وكان الرأي العام يفيض بمعاداة روسيا، كانت جورجيا تخوض أول تجربة لثورة ملونة ضد الاتحاد الروسي. في عام ٢٠٠٨، ساعدت موسكو الأقلية الأوسيتية داخل جورجيا على إنشاء إقليم مستقل بات يُعْرَف بجمهورية أوسيتيا الجنوبية الشعبية بحيث يُقابل صواريخ الناتو الموضوعة في جورجيا والموجهة إلى موسكو نَفْس العدد من الصواريخ الروسية في أوسيتيا الجنوبية وتستهدف العالم الغربي.

الحرب الجارية بدأت فعليًا في فترة العامين ٢٠١٥-٢٠١٤، في أعقاب الثورة الوهمية في ساحة «الميدان» والتي أدت إلى تغيير النظام في أوكرانيا وخلع الرئيس الشرعي الموالي لروسيا فيكتور يانوكوفيتش بدايةً وتعيين حكومة مؤقتة، ثم الإتيان بأخرى موالية للحكومات الغربية والناتو. ساءت العلاقات بين أوكرانيا والاتحاد الروسي؛ لأن الإدارات الجديدة الموالية للغرب أعلنت استعدادها للانضمام إلى حلف الناتو ولم يستطع بوتين السماح بذلك؛ فدخول كييف إلى حلف الناتو يعني في الواقع نشر صواريخ ذات رؤوس نووية على حدودها موجهة نحو موسكو وقادرة على تدميرها في بضع دقائق ما يعني لروسيا قضية أمن قومي. ولهذا السبب؛ كان للناتو وقبل توسعه نحو الشرق دور أساسي في هذا الشأن، وقد أدى ذلك إلى انقسام بين الأوكرانيين «القوميين والموالين لروسيا»؛ ثم كانت هناك مذبحة أوديسا، حيث قتل القوميون الأوكرانيون ٤٨ شخصًا من أصل روسي وفقًا للتقديرات الرسمية، ومن ثم مذبحة المدنيين من أصل روسي في الدونباس والتي اتخذ بسببها بوتين قرار العملية العسكرية. من هنا نفهم أن هناك حربًا أهلية حقيقية في أوكرانيا لم تبدأ من اليوم أو منذ شهر بل قبل ثماني سنوات؛ الأمر الذي لم يكن يُدركه معظم الناس بسبب الإعلام إذ لم يتم تناول تلك الأحداث قط. في عام ٢٠١٦ أطلق الناتو مناورة أناكوندا في بولندا والتي كانت بنيَّة واضحة لتخويف روسيا، لدرجة أن الصحفي والمؤرخ الدبلوماسي الإيطالي سيرجيو رومانو قال مؤكداً إن «الناتو مخطئ» ليؤكد استنتاجات كارديني الواضحة للغاية»: أنه في هذه المرحلة لم يكن أمام الاتحاد الروسي أي خيار؛ وكان عليه الاعتماد على السلاح لحماية جمهوريتي دونباس اللتين أعلنتا استقلالهما؛ والقيام بذلك في أقرب وقت ممكن قبل أي دخول أوكراني رسمي إلى الناتو من شأنه أن يعزز من إمكانات الحرب المحتملة للتحالف بأكمله ضده. الناتو منظمة عسكرية دولية أُنْشئت لأغراض دفاعية تتمثل مهمتها في احتواء الأخطار في منطقة شمال الأطلسي. قام الحلف خاصة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي «بإعادة تدوير نفسه»، حيث قام في كثير من الأحيان بمَهام مختلفة عن وظيفته الأصلية. يمكننا القول أنه مرَّ بثلاث مراحل: من عام ١٩٤٩ إلى عام ١٩٩١ كان له وظيفة احتواء التهديد السوفيتي ثم فترة وَسَطية أعاد فيها الحلف تدوير نفسه في وظيفة معاداة المسلمين وأخيراً، في المرحلة الأخيرة كان هناك غرض آخر مُشتق من حقيقة أن روسيا مع بوتين قد استعادت مكانتها وتميل إلى إعادة الدخول في صفوف القوى العالمية العظمى، وهذه مشكلة لأنها تهدد القطبية الأحادية الأمريكية إذ يجب أن نتذكر أن القائد العسكري للتحالف يجب أن يكون جنرالاً أمريكياً يعتمد بدوره على رئيس الولايات المتحدة؛ ما يعني أن الناتو واقع عسكري بيد الولايات المتحدة. لذلك؛ عندما نقول إن الحلف يريد التقدم شرقًا، فإننا نقول في الواقع إن الولايات المتحدة هي التي تريد إنشاء حدود شرقية وتميل إلى السيطرة أكثر فأكثر مما تفعل روسيا.

يحاول جزء من الأوكرانيين التأكيد بأن روسيا وأوكرانيا كيانان مختلفان تمامًا وهذا ليس صحيحًا؛ فمن الصحيح أنه في القرن التاسع عشر وفي الكثير من أنحاء أوروبا،

وُلِدَت الحركات الوطنية ثم أصبحت قومية، مما أدى إلى تفكك مفهوم التضامن الأوروبي الذي كان موجودًا أولاً من خلال المسيحية ثم من خلال العلاقة بين مختلف الممالك الأوروبية. امتدت هذه الحركات الوطنية أيضًا إلى أوكرانيا التي اتخذت من الوطنية الفرنسية نموذجًا لها: كان أحد العناصرالمميزة الأولى للقومية الأوكرانية هو المعاداة القوية لليهودية والتي انتشرت بسببها وعلى نطاق واسع ممارسة المذابح وتدمير القرى اليهودية والتي تمخضت عنها فرقة مثل آزوف في يومنا هذا. قَدَّم القوميون الأوكرانيون مساهمة تطوعية كبيرة للجيش الألماني خاصة في الفترة الستالينية، حيث أنشأوا ثلاث فرق مُدَرّعة متطوعة ولهذا عوقبوا بشدة من قبل ستالين الذي أطلق عليهم النار بشكل جماعي. أثارت القومية التي ظهرت بين القرنين التاسع عشر والعشرين مشاعر عنيفة معادية لروسيا، ولهذا تعرضوا للضرب أولاً على يد السوفييت ثم على يد بوتين بينما فضَّل الوجهاء السوفييت من أصل أوكراني انفصال أوكرانيا عن روسيا. إذاً الآن هناك حالة حرب أهلية بين الأوكرانيين الذين يريدون إنشاء أمة مستقلة تمامًا عن روسيا وربما حتى ضد روسيا، والأوكرانيين الذين يريدون أن يظلوا روسيين عرقيًا وثقافيًا، وهذه الحقيقة الأخيرة لم تظهر في الإعلام؛ لأن الأمر يتطلب عمليات بث مخصصة لها.

في بيان بوتين العام قال: إن أوكرانيا الحديثة تم إنشاؤها قبل كل شيء من قبل الرئيس السوفيتي السابق خروتشوف الذي كان أوكرانيًا ومنح كييف حكماً ذاتياً قوياً في عام ١٩٦٢ بالإضافة إلى شخصية مهمة أخرى كوزير الاتحاد السوفيتي شيفرنادزه الذي خلق أشكالاً مهمة من الاستقلال، كما حدث مع دولة جورجيا التي انفصلت عن روسيا وانتهى بها الأمر إلى اتخاذ سلوك مناهض لها. تَعتبر أيديولوجية بوتين أوكرانيا جزءًا لا يتجزأ من التاريخ والثقافة الروسية، وبالتالي فهي معادية إلى حد ما لتحقيق كييف لاستقلال حقيقي؛ فهو يعتبرأوكرانيا القلب التاريخي لروسيا؛ فروسيا وُلِدت في كييف وهذا أمر لا جدال فيه. لم يعترض أحد على الإطلاق حتى يومنا هذا على أن الأديب غوغول كان أوكرانيًا، وفي نفس الوقت كان مَجْدًا للأدب الروسي. الأمر الأكثر إثارة للتساؤل هو حقيقة أن أوكرانيا يجب أن تعود إلى كونها روسية اليوم وهذا لم يطلبه بوتين حتى يومنا هذا. ومع ذلك، على عكس الحقبة السوفيتية، تُصِّر الحكومة الروسية الحالية بشدة على أن أوكرانيا جزء أساسي لا غنى عنه من الهوية الروسية وهذه حقيقة؛ لطالما شعر الأوكرانيون بأنهم روس على الرغم من وجود هوية أوكرانية لكنها لم تكن أبدًا هوية وطنية.

لقد قال بوتين بوضوح ما يريد: دونباس والقُرُم ووقف تقدم الناتو شرقاً والحرب قائمة لأن أحداً لم يستمع إليه.

إن القول بأن بوتين لا يريد التفاوض كما يردد البعض، هو قول غير دقيق؛ فهو يريد التعامل من نقطة قوية ولهذا يكثف العمليات العسكرية. إنه لا يزال مسيطرًا على القوات المسلحة وبالتأكيد أول من لا يرغب في استخدام الخيار النووي.

ومع ذلك فقد قيل العديد من الأشياء بما في ذلك أن بوتين يريد إعادة بناء الاتحاد السوفيتي، وأنه يهدف إلى غزو دول البلطيق، وحتى أنه يريد استعادة ألمانيا، وهذا كله «هراء دعائي»، كما يقول المؤلفان. ليس لدى بوتين أي نية من هذا القبيل، وحتى لو كان ذلك حقيقيًا فلن تكون لديه القوة لفعل شيء كهذا، لكن ما هو صحيح هو أن بوتين يريد استعادة هوية سياسية وثقافية قوية لروسيا وإعادة إطلاقها عالميًا كقوة عظمى، وهو ما نلاحظه في المفاوضات التي يسودها صمتٌ عميق أثناء الاجتماعات ولا تتناولها وسائل الإعلام التي لا تميل إلى تحليل وفك تشفير هذه الأحداث وتركز فقط على العمليات العسكرية في إجماع استثنائي من نوع الدعاية في جميع وسائل الإعلام ولدى جميع الأحزاب السياسية. وهنا يبدو من الواضح أن الأمريكيين وحلف الناتو الذين يعتمدون عليه قد قطعوا وعودًا كبيرة بالدعم إلى زيلينسكي مما سمح له بانتهاك معاهدات مينسك.

يقول فرانكو كارديني: «أنا خائف» وخائف من الناتو أكثر من بوتين؛ لأنه لا يبدو أن حلف الأطلسي تقوده بشكل خاص شخصيات بعيدة النظر؛ إذ لا قدر الله حدث ما لم يأمل أحد بحدوثه، فلن يضرب الروس ولاية بنسلفانيا بل قواعد سيغونيللا وأفيانو وكامب ديربي في إيطاليا، ولوضع حد لهذه الحرب يجب التفاوض؛ لكن هناك انطباع بأنه يوجد داخل الطبقة الحاكمة الأمريكية دعاة يميلون إلى البحث عن حلول خطيرة. ترامب لديه آلاف العيوب، لكنه ينتمي إلى التقاليد الأمريكية الانعزالية القديمة ولا يبحث عن مغامرات خارج حدوده. باختصار، لو كان الجمهوريون في السلطة اليوم لكانت الأمور أكثرهدوءًا، فالحروب الخارجية دائمًا ما يكون لها سياق داخلي قوي. أمريكا لديها ديون عامة وداخلية هائلة، تقع في جزء كبير منها بشكل مباشر أو غير مباشر في أيدي الصين. الدولة الصغيرة عندما تكون مَدينة تطلب خصومات لكن القوة العظمى عندما تكون مَدينة تثير الحرب، التاريخ يعلمنا ذلك.

أما بالنسبة إلى أوروبا فقد أفرغت نفسها إلى حد كبير من مُحتواها التقليدي وسمحت لنفسها بالأمركة ثقافيًا. بالإضافة إلى ذلك، فهي ليست اتحادًا سياسيًا ولكنها اتحاد اقتصادي ومالي فقط، كونه قزمًا عسكريًا يقرر فيه الناتو السياسة الأوروبية والقيادة العليا للناتو موجودة في واشنطن وهنا يقول المؤلفان: نحن نرغب في أوروبا مستقلة قادرة على العمل كَحَلْقة وصل بين الولايات المتحدة التي نحبها ونَدين لها بالكثيروالعالم الأوراسي الذي نرتبط به تاريخيًا وتقليديًا. لذلك يجب إنهاء العقوبات المعمول بها، أو تخفيفها بالفعل، والانفتاح على الحوار السياسي؛ لأن غير ذلك يعني أننا فقدنا الفِطْرة السليمة؛ بوتين لن يجرؤ على الضغط على زرالأسلحة النووية، إلا إذا كان معرضا لخطر شديد بالاختفاء وهنا التاريخ مفيد: عندما قال هتلر في خطاب إذاعي «سامحني يا الله في الدقائق الخمس الأخيرة من الحرب»، كان من الواضح أنه شعر بالهزيمة حينها ولكنه كان على بُعْد خُطوة واحدة من امتلاك سلاح فَعَّال. ليس هناك أدنى شك في أن هتلر كان سيضغط على الزر، لكن لا يمكننا أن ننسى أن من استخدم القنبلة الذرية هي أكبر ديمقراطية في العالم.

ولنتذكر ما قاله موشيه ديان (رئيس الأركان الإسرائيلي السابق) عام ١٩٦٦: «لن نتركهم يأخذوننا على حين غِرَّة ونحن غير مستعدين ولن نُرْسَل إلى المسلخ بعد الآن». كان المعنى واضحًا جدًا؛ فهو أيضًا كان لديه الزر في متناول اليد.

العنوان: أوكرانيا: الحرب والتاريخ
المؤلف: فرانكو كارديني وفابيو ميني
دار النشر: بيبرفرست
بلد الاصدار: إيطاليا
لغة الكتاب: الايطالية
تاريخ الاصدار: أيار/ مايو 2022
عدد الصفحات: 144

* مترجمة عربية مقيمة في إيطاليا

هل العلم كاف ؟:
أربعون سؤالاً حاسماً حول العدالة المناخية!

أفيفا تشومسكي

حامد عبد الرحيم عيد *

الكاتبة هي أفيفا تشومسكي (ولدت في 20 أبريل 1957) مُعلّمةٌ، ومُؤرخةٌ، وكاتبةٌ، وناشطةٌ أمريكيّةٌ. وهي أستاذة التاريخ ومُنسّقة دراسات أمريكا اللاتينية والدراسات اللاتينية والكاريبية في جامعة سَيْلم ستيت في ماساتشوستس، كما درّست سابقاً في كلية بيتس في مين Bates College in Maine ، وكانت باحثةً مُشاركةً في جامعة هارفارد، حيث تخصّصت في التاريخ الكاريبي وتاريخ أمريكا اللاتينيّة هناك. وهي الابنة الكبرى لعالِمي اللغويات نعوم تشومسكي وكارول تشومسكي. أما جدها لأبيها، فهو وليام تشومسكي (1896-1977)، وكان عالمًا عِبرانيًا في كلية جراتز، وعمل مديرا لها لعدة سنوات.

ترى تشومسكي العدالة المناخية بأنها تعني الاعتراف بتغير المناخ كقضية أخلاقية وسياسية واقتصادية تتطلب إعادة تنظيم مجتمعنا واقتصادنا العالميين بشكل أساسي، وليست مجرد مسألة تعديل الحوافز وإضافة التقنيات. لكن كيف يُمكننا القيام بذلك ؟ فالعالم اليوم على وشك كارثة مناخية؛ حيث الجفاف، وحرائق الغابات، والعواصف الخارقة، وذوبان الأنهار الجليدية، وموجات الحر، والسكان النازحين الفارين من البلدان التي أصبحت غير صالحة للسكن، كما أن هناك الكثير من الكتب والتقارير العلمية والمقالات التي تؤرخ الضرر الذي حدث بالفعل. على الرغم من الدراسات العديدة والاجتماعات والاتفاقيات الدولية والوعود، وعلى الرغم من الاستثمارات الضخمة والتوسع في الطاقة الشمسية وطاقة الرياح، بالإضافة إلى المركبات الهجينة والكهربائية، فإن سكان كوكب الأرض ما يزالون وبشكل جماعي مستمرين في إصدار المزيد من غاز ثاني أكسيد الكربون والغازات الدفيئة الأخرى إلى الغلاف الجوي كل عام بأكثر من العام السابق. تؤكد تشومسكي أنه بينما يسير الحديث الطيب في الاتجاه الصحيح، من الواضح أن أفعالنا السيئة تسير في الاتجاه الخاطئ. إن مشكلة المناخ هي نتاج نظام اجتماعي واقتصادي يقوم على أخذ واستهلاك موارد الأرض بكميات متزايدة باستمرار قبل التخلص منها. كل الأنواع الحية، بالطبع، تستهلك أو تمتص الموارد وتنتج النفايات. من ناحية أخرى، لقد بنى البشر فلسفات واقتصادات تشجع على الاستمرار في التوسع في هذا الأمر إلى أجل غير مسمى، ومع ارتفاع عدد سكان العالم، تم تحقيق قفزات هائلة في الإنتاج والاستهلاك، لا سيما منذ الثورة الصناعية واكتشاف الوقود الأحفوري. لكن للأسف الشديد، نحن البشر لا نلعب نفس الدور في هذه العملية؛ فقد سمحت السيطرة على الوقود الأحفوري لبعض المجموعات من الناس بزيادة قوتهم ومستوى معيشتهم. مع مرور الوقت، حارب بعض أولئك الذين تم استبعادهم وطردهم واستعبادهم واستغلالهم من خلال العملية لتحقيق جزء من الفطيرة السياسية والاقتصادية المتنامية. كما قاموا أيضًا بزيادة استخدامهم للوقود الأحفوري وانبعاثاتهم. لا تزال، اليوم، عملية التوسع والسلب والاندماج مستمرة. فيستهلك أسياد الانظمة أكثر مما حلمت به الأجيال السابقة. بينما تستهلك الطبقات الوسطى المتنامية أقل بكثير، لكنها لا تزال تستهلك أكثر بكثير من أجدادها أو السكان الذين يعيشون في فقر مدقع. بغض النظر عن مدى تقدمنا التكنولوجي، فإن موارد الكوكب محدودة، وكذلك قدرته على امتصاص النفايات التي ننتجها. فخلال المائتي عام الأولى، تمكنت المناطق الصناعية في العالم من الاستعانة بمصادر خارجية لجزء كبير من التكاليف الاجتماعية والبيئية لإنتاجها واستهلاكها. لقد استعمروا الأراضي البعيدة، وجردوها من ممتلكاتهم واستعبدوا العمال، وكرسوا جزءًا كبيرًا من تقدمهم التكنولوجي لأدوات الحرب لضمان استمرار هيمنتهم. وقد أزاحوا عواقب إسرافهم على الأجيال القادمة. وبحلول أواخر القرن العشرين، كانت الموارد تزداد ندرة، وأصبحت النفايات أكثر سمية، وهنا بدأ العلماء في دق ناقوس الخطر بشأن تأثير الاحتباس الحراري، والذي من خلاله انطلق غاز ثاني أكسيد الكربون والغازات الأخرى في الغلاف الجوي عن طريق حرق الوقود الأحفوري وقطع الغابات؛ مما أدى إلى حبس المزيد من حرارة الشمس وارتفاع درجة حرارة الأرض. ولقد فجرت مساهمة الكتاب الذي نتناوله أدب تغير المناخ على مدار العقد الماضي، وكذلك الوعي الشعبي واهتمام وسائل الإعلام والتعبئة السياسية ومقررات المدارس الثانوية والجامعات. إلا أنه، لا يوجد كتاب واحد قادر على تحليل التعقيدات والمصطلحات والخلافات والقضايا في نقاشات الناشطين والطلاب وعامة الناس المهتمين بالتغير المناخي.

هذا الكتاب يمكن أن يكون كتابا تمهيديا، لا يستهدف القراء الذين يشككون في علم تغير المناخ. في الواقع، وبدون تعمق في العلم، فهناك بالفعل مؤلفات كثيرة تفعل ذلك. فقد جرى العرف أن يبدأ كل كتاب عن تغير المناخ تقريبًا، بغض النظر عن تركيز موضوعاته، بفصل يلخص ما نعرفه عن الأسباب المادية لتغير المناخ، وعقود العلم التي تدعم فهمنا، والآثار المستقبلية الحالية والتي يمكن التنبؤ بها لزيادة أو استقرار أو تقليل انبعاثات ثاني أكسيد الكربون ببطء. ومع ذلك، فهناك العديد من الأسئلة الغامضة إلى حد كبير للقراء البسطاء الذين يدركون أننا نواجه حالة طوارئ مناخية ولكنهم غير متأكدين من أن قضايا العدالة التقنية والسياسية أو الاجتماعية تأخذ كامل الاهتمام. وما التدابير التي يمكن أن تخفض الانبعاثات بما يكفي لتجنب الفوضى المناخية التي تلوح في الأفق؟ وما الأفعال التي لا ترقى إلى أكثر من مجرد الحديث عن الحياة الخضراء؟ وما القضايا التي تفرق بين الحركة العمالية والحركة البيئية فيما يتعلق بالحلول المناخية؟ وما العلاقة بين تغير المناخ والعدالة الاجتماعية والعرقية، مثل الظلم الاقتصادي العالمي والمحلي، والفقر، والهجرة، والعنف، والتنمية الاقتصادية؟ قد نتفق جميعا على الأسباب المادية المباشرة للاحترار العالمي - انبعاثات غازات الاحتباس الحراري. ولكن ما القوى الهيكلية التي تبقينا على طريق تدمير الذات، كما يتفق معظمهم؟ وأين يجب أن نركز جهودنا من أجل تغيير مسار الأحداث؟ ما سبب الاحتباس الحراري ؟ في حين أن الإجابة على هذه الأسئلة قد تبدو بسيطة، يجادل هذا الكتاب بأن كيفية تفكيرنا في أسباب تغير المناخ أمر بالغ الأهمية؛ لأنه يؤثر على طريقة تفكيرنا وتنظيمنا لتجنب كارثة مناخية تلوح في الأفق. تحبس انبعاثات غازات الاحتباس الحراري المتزايدة حرارة الشمس، مما يؤدي إلى الاحتباس الحراري. كلما زاد عدد هذه الغازات التي نضعها في الغلاف الجوي، زادت الحرارة المحاصرة. هذا كل ما في الأمر من وجهة نظر تكنولوجية. ويرجع السبب الرئيسي لانبعاثات غازات الدفيئة إلى احتراق الوقود الأحفوري، الذي بدأ بحفر الفحم وحرقه مع تقدم الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر، ونما في القرن العشرين باستخراج وحرق النفط والغاز الطبيعي. ثم حدثت زيادات كبيرة في استخراج الموارد وإنتاجها واستهلاكها (بالنسبة للبعض) في أواخر القرن العشرين، مما أدى إلى زيادات هائلة في استخدام الوقود الأحفوري، والذي أوصلنا إلى كارثتنا المناخية الحالية. إذا كان العلم الآن واضحًا

تمامًا أن النشاط البشري - الاستخراج والإنتاج والاستهلاك - يتسبب في انبعاثات غازات الدفيئة التي تعمل على ارتفاع درجة حرارة كوكبنا بشكل تدريجي وتقودنا نحو تغير مناخي كارثي، فإن تتبع هذا التاريخ القصير يشير إلى أن الحل التقني ليس سوى جزء من الصورة. قد يكون الاستخدام المتزايد للوقود الأحفوري هو «السبب» المباشر لتغير المناخ، ولكن ما الذي يفسر هذا الاستخدام المتزايد؟ هل هو النمو السكاني، الذي يقربنا من ثمانية مليارات نسمة وينمو بسرعة، مما يشكل ضغطًا متزايدًا على موارد كوكبنا؟ هل هم سكان الولايات المتحدة، الذين يحرقون بشكل جماعي حوالي ربع الوقود الأحفوري على كوكب الأرض كل عام، على الرغم من كونهم موطنًا لأقل من ٥ في المائة من سكانها؟ هل هي نسبة الواحد في المائة العالمية، النخبة التي تهيمن بأغلبية ساحقة على الأنشطة عالية الانبعاثات مثل السفر الجوي واستهلاك الرفاهية؟ أو أعلى ١٠ في المائة، الذين ينتجون أكثر من نصف انبعاثات الكوكب، بينما ينتج النصف الأفقر من سكان الكوكب معًا أقل من ١٠ في المائة؟ هل هي شركات الوقود الأحفوري، التي عملت بجد لإنكار العلم وراء ظاهرة الاحتباس الحراري ؟ هل هي الحكومات التي تسن السياسات والاتفاقيات التي تستمر في تعزيز الأنشطة عالية الانبعاثات؟ هل هي الشركات التي تهيمن على الاقتصاد العالمي وتمارس سيطرة كبيرة على الحكومات والوكالات الدولية؟ هل هو البشر؟ أو التصنيع؟ أم الرأسمالية؟ فكيفية تحديد «السبب» ستلعب دورًا كبيرًا في كيفية تصورنا لما نحتاج إلى تغييره. تغير المناخ وحدود الكوكب بينما استحوذت حالة الطوارئ المناخية الوشيكة على الكثير من الاهتمام، يجادل البعض بأن النظر إلى انبعاثات غازات الدفيئة منعزلاً يمنعنا من رؤية الصورة الأكبر للأزمة البيئية التي نقترب منها. يتجاوز البشر حدود الكواكب على جبهات متعددة، وتأثيرات النشاط البشري في مجالات مختلفة مترابطة وتخلق تأثيرات تآزرية.

في عام ٢٠٠٩، اقترح مركز ستوكهولم للأبحاث SRC مفهوم «حدود الكواكب»، وأن عبور هذه الحدود يزيد من خطر حدوث تغييرات بيئية مفاجئة أو لا رجعة فيها على نطاق واسع. ولكن لا يمكن فصله عن الآخرين منها: تحمض المحيطات، واستنفاد طبقة الأوزون الستراتوسفيرية، والنيتروجين الكيميائي الحيوي (النيتروجين الناتج عن الزراعة والعمليات الصناعية)، ودورة الفوسفور (الفوسفور المنطلق في المحيطات)، والاستخدام العالمي للمياه العذبة، واستخدام نظام الأراضي (الأراضي التي أزيلت منها الغابات ووضعها في الاستخدام الزراعي والحضري)، وفقدان التنوع البيولوجي (انقراض الأنواع)، والتلوث الكيميائي، وتحميل الهباء الجوي (تلوث الهواء، مثل جزيئات الغبار والسخام في الهواء الذي نتنفسه). وخلص المركز إلى أن تجاوز أي من هذه الحدود «قد يكون ضارًا أو حتى كارثيًا»؛ مما يؤدي إلى حدوث «تغير بيئي غير خطي ومفاجئ داخل أنظمة النطاق القاري إلى الكوكبي». وعندما اقترح المركز نظام الحدود في عام ٢٠٠٩، خلص إلى أننا قد تجاوزنا بالفعل ثلاثة من هذه الحدود: تغير المناخ، وفقدان التنوع البيولوجي، والتغيرات في دورة النيتروجين العالمية.

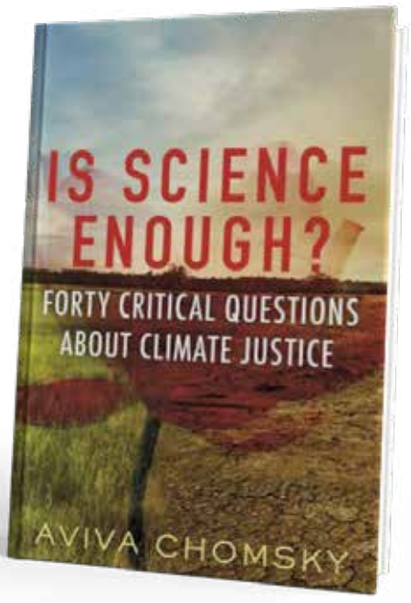

ولتجنب الاحترار الكارثي، فهذا لا يكفي. إذا نجحنا في تقليل الانبعاثات ولكننا واصلنا تلويث مياهنا وتدمير غاباتنا ودفع الأنواع إلى الانقراض، فستستمر الكوارث البيئية. وهنا تُعد الأمراض المعدية الجديدة مثل فيروس كورونا الجديد لعام ٢٠١٩، في أعقاب سارس، وفيروس كورونا، وزيكا، و HINI أنفلونزا الخنازير، وإيبولا، وغيرها، من أهم الأمثلة، مما أدى إلى جزء كبير من تغيير استخدام الأراضي حيث يدمر البشر موائل الحياة البرية عن طريق الضغط أكثر من أي وقت مضى في الغابات المتبقية على كوكب الأرض. إضافةً، فإن الحرب الروسية الأوكرانية التي تجرى رحاها اليوم في قلب أوربا قد تكون سببا آخر لنكسة كبرى للجهود التي تبذلها البلدان لتقليل آثار التغير المناخي. وحتى تقف تلك الحرب العبثية؛ فإن أحدا لا يستطيع أن يتكهن بمستقبل العالم شرقه وغربه.

أما الحديث عن فصول الكتاب الذي بين أيدينا، فيقسم أسئلته إلى خمسة أقسام أساسية: القسم الأول، المتعلق بالمسائل التقنية، الاستجابات التقنية والتكنولوجية المقترحة والحالية لتغير المناخ. بالرغم من أن التقنيات الحالية والناشئة قد جلبت فوائد لا جدال فيها للكثيرين، فإن التقدم التكنولوجي قد جلب أيضًا مشكلات اجتماعية وبيئية. ولا تستطيع التكنولوجيا وحدها حل تلك المشكلات، إذا تم دمجها في نظام اجتماعي واقتصادي يعطي الأولوية لأرباح القلة على رفاهية الكثيرين.

ويستكشف القسم الثاني طبيعة وانعكاسات خيارات ومقترحات السياسات المختلفة. على الرغم من مرور عقود من الاجتماعات والاتفاقيات الدولية والمعاهدات، وظهور العديد من الابتكارات السياسية، فإن الانبعاثات العالمية مستمرة في الارتفاع. لماذا هذا هو الحال، وما نوع السياسات التي يمكن أن تكون أكثر فعالية؟ كما يبحث هذا القسم أيضًا حول بعض المصالح الاقتصادية والسياسية التي تؤثر على مناقشات السياسة.

أما القسم الثالث فيطرح السؤال الحتمي في كل حديث حول تغير المناخ: «ما الذي يمكنني أن أفعله كفرد؟» حيث تتناول الأسئلة المحددة هنا الإجراءات الفردية والمستندة إلى المستهلك والأشكال المختلفة للاحتجاج وحملات التغيير. ويساعد القارئ على فهم المناقشات التي تدور حول أنواع معينة من النشاط ويؤكد على الحاجة إلى التعاون والحملات التكميلية.

ونأتي إلى القسم الرابع الذى يركز على العدالة الاجتماعية والعرقية والاقتصادية، ويضع تغير المناخ في سياق الهياكل الاقتصادية العالمية، بشكل عام، حيث يعاني أفقر دول العالم، الذين أسهموا بأقل قدر في الانبعاثات العالمية، من أخطر الآثار المترتبة على تغير المناخ. كما يستكشف هذا الفصل الانقسامات بين منظمات العدالة الاجتماعية والحركة العمالية والجماعات البيئية والطرق التي يمكن بها تجاوز هذه الانقسامات. ويناقش كيفية مساهمة مختلف البلدان والصناعات والقطاعات الاجتماعية في تغير المناخ ويسأل كيف يمكن لسياسة المناخ أن تعالج هذه الاختلافات بإنصاف.

أخيرا يتعرض القسم الخامس لبعض وأخطر الأسئلة التي كثيرًا ما يتم التهرب منها عند النقاش حول المناخ، كيف يمكن ربط النمو السكاني والهجرة بتغير المناخ؟ وهل تعتمد الرأسمالية بطبيعتها على الوقود الأحفوري؟ وعلى النمو الاقتصادي؟ وهل يمكن أن يكون هناك نمو اقتصادي دون تدمير للبيئة؟ وماذا كانت تعني الإجابات حول ما نحتاج إلى تغييره؟ وكيف يمكننا إعادة تنظيم نظامنا العالمي لتحرير الناس من الفقر والجوع - ومن حلقة مفرغة مميتة لزيادة الإنتاج والاستهلاك باستمرار؟ وبعد عقود من النشاط الدولي والوطني والمحلي، هل يمكن أن نحرز أي تقدم؟

إن مواجهة تغير المناخ تعني أول ما تعنى فهم كيفية وصولنا إلى هذه النقطة، وتحدي بعض الطرق الأساسية التي يتم بها تنظيم مجتمعنا واقتصادنا. هذه الأنظمة والهياكل هي التي أوصلتنا إلى حافة الهاوية البيئية؛ حيث شكلت عالمنا غير المستقر وغير المتكافئ. وتنهي الكاتبة الأمريكية أفيفا تشومسكي حديثها بالأمل أن يمنح هذا الكتاب الجهات والهيئات المهتمة بالتغير المناخي المشاركة بثقة وفعالية أكبر في النقاش حوله، بما في ذلك إيجاد أشكال جديدة من التعاون مع الحركات من أجل العدالة العالمية. وهكذا فإنها تقوم بعمل رائع في إبقاء الأمور بسيطة مع توفير سياق واسع، ويضيف تركيزها على العدالة إلحاحًا. وهي مساهمة جديرة بالاهتمام في مجموعة العمل المتنامية حول أخلاقيات تغير المناخ.

الكتاب: هل العلم كاف ؟: أربعون سؤالاً حاسماً حول العدالة المناخية

المؤلف: أفيفا تشومسكي

تاريخ النشر: 2022

عدد الصفحات: 212

الناشر:دار نشر بيكون، بوسطن، ماساتشوستس

* أستاذ بجامعة القاهرة، مصر

تقنية النانو في تغليف الأطعمة الصالحة للأكل

فيمال كاتيار وتابلي جوش

فينان نبيل *

يعد الغذاء الاحتياج الأول للإنسان لضمان بقائه. لذلك؛ مارس الصيد، وجمع الثمار من أول لحظات التاريخ، ولكنه ما لبث أن واجه مشكلة تلف الطعام. وفي محاولة منه للتكيف مع البيئة، تعلم حفظ الطعام وضمان سلامته لمدة أطول؛ فاستخدم عدة طرق لحفظ الطعام تتوافق مع البيئة المتاحة لديه؛ ففي كل مكان في أنحاء العالم هناك طريقة ما لحفظ الأغذية.

استخدم الإنسان عدة طرق للحفظ، ومنها التجفيف؛ لأنَّ الماء الموجود في الطعام يجعله أرضًا خصبة للكائنات الحية الدقيقة، وبجفاف الماء قد لا تتمكن الكائنات الدقيقة من إفساد الطعام. كانت الأطعمة تجفف بشكل طبيعي عن طريق الشمس، والرياح في مصر القديمة، وبلدان الشرق الأوسط منذ عام ١٢٠٠ .ق.م،كما استخدم التمليح، حيث يعجل الملح عملية التجفيف، ويمنع نمو بعض البكتيريا الشائعة، خاصة عند التجارة عبر مسافات واسعة في المحيط؛ فقد حافظ الفينيقيون على الأسماك عن طريق تجفيفها، وتعبئتها بطبقات من الملح حوالي ١٢٥٠ قبل الميلاد. كما تم اكتشاف أملاح النترات في القرن التاسع عشر، التي تمنع نمو بعض البكتريا في اللحوم وتسهم في احتفاظها بلونها الوردي. تطور التبريد عندما اكتشف «كلارنس بيردسي» التجميد السريع كوسيلة تبطئ تكاثر الكائنات الحية الدقيقة في الطعام، ويبطيء الإجراءات الإنزيمية التي قد تتسبب في إفساد الطعام. أحدثت طريقة التجميد السريع عند درجة حرارة منخفضة ثورة في حفظ الأغذية؛ فهو يعد من أكثر العمليات استخدامًا للحفاظ على مجموعة متنوعة من الأطعمة حتى اليوم؛ فهو يمكن أن يجعل اللحوم، والخضروات أفضل تذوقًا. تسمح الثلاجات اليوم للطعام بالبقاء طازجًا لفترات أطول. استخدمت أيضاً طرق أخرى لحفظ الطعام مثل التسكير (المربى والهلام)، فكان من الشائع استخدام السكر، والعسل الطبيعي النقي، حيث يسحب السكر الماء من الميكروبات؛ مما يجعلها تجف وتموت في النهاية. واستخدُم التدخين باستخدام الفينول، وسيرينجول، وغيرها من المواد وسيلة للحفاظ على الأغذية، كما ظهرت فكرة التعليب كطريقة للحفظ عام ١٨٠٦، على يد الفرنسي«أبيرت» الذي قدَّم مجموعة مختارة من الأطعمة المُعبأة، ثم حصل» بيتر دوراند»، وهو تاجر بريطاني على براءة اختراع لتقنية حفظ الطعام، باستخدام علبة من الصفيح كحاوية، وعرف باسم «أبو التعليب». وازدهر التعليب في عام ١٨٥٥.

صاحب التغيرات البيئية، وزيادة أعداد سكان العالم، مع ندرة الغذاء، ورغبة الإنسان في الحفاظ عليه من التلف لوقت طويل، ظهورُ تكنولوجيا جديدة تعرف بـ«تقنية النانو» التي تعود فكرتها إلى العالم «ريتشارد فاينمان» في عام ١٩٥٩، وقد حاز على جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩٦٥. ثم جاء « إيريك دركسلر» الذي صاغ مصطلح «تقنية النانو» في ١٩٨٦، وقد تم استخدامها في حفظ الطعام،وسط الجدل الدائر حول الفوائد من استخدامها، والمخاطر التي قد تحيط بهذا الاستخدام.

يُعرف علم النانو أنه العلم الذي يُعنى بدراسة وتوصيف مواد النانو، وتعيين خواصها الكيميائية والفيزيائية والميكانيكية، ودراسة الظواهر المرتبطة الناشئة عن تصغير أحجامها. وهو العلم الذي يهتم بدراسة معالجة المادة على المقياس الذري، والجزيئي، ويهتم بابتكار تقنيات ووسائل جديدة تقاس أبعادها «بالنانومتر» وهو جزء من الألف من الميكرومتر، أي جزء من المليون من المليمتر. استخدمت هذه التقنية في الكثير من التطبيقات في عدة مجالات مختلفة منها مجال الأغذية مثل : تصنيع الأطعمة، وإنتاجها، وتجهيزها، وتعبئتها، وتغليفها، وحفظها.

تعددت أشكال التغليف النانوية، منها أغلفة عادية تتألف من قوالب من البلومرات، يتم التحكم في أبعاد، ومقاييس مسامها. ولها خواص ميكانيكية ووظيفية تمكنها من منع حدوث تبادل الرطوبة والغازات مع الوسط الخارجي، وتؤثر في عملية توزيع المواد الملونة ومواد النكهة، وتستخدم في تغليف المنتجات الغذائية الطازجة كاللحوم والأجبان والخضر والفاكهة وغيرها، وحفظها حتى بعد فتح العبوة بمعالجة أسطح العبوات الخارجية بطبقة رقيقة شفافة مضادة للأكسدة يقل سمكها عن خمسة نانو متر. وتتميز بكونها عناصر لمواد نانوية آمنة غير سامة، متوافقة حيويا مع الإنسان؛ فلا تلزم إزالتها عند تناول المنتج الغذائي. والمواد الأكثر استخداما (فلز الفضة، وبعض أكاسيد الفلزات مثل ثاني أكسيد التيتانيوم، وثاني أكسيد النحاس، وثاني أكسيد الزنك)، وتتميز حبيبات تلك الأكاسيد بقدرتها على تحليل الملوثات من المواد العضوية، والبكتريا، ومقاومة الميكروبات التي قد تتراكم على الأسطح الخارجية للمنتجات الغذائية خلال فترة الحفظ.

توجد عبوات حافظة أخرى، تستطيع أغلفتها أن تطلق بعض المواد الكيميائية النانوية داخل العبوات، كالمواد المضادة للميكروبات، والأكسدة، والملونات، والمدعمات الغذائية للأغذية لإطالة فترة الصلاحية، أو تحسين النكهة واللون، أو القيمة الغذائية. كما تم تطوير عبوات غذائية نانوية يمكنها امتصاص أي نكهات، أو روائح غير مرغوبة تنشأ داخلها، وإنتاج عبوات تستطيع ضخ غازات ثاني أكسيد الكربون، أو الأكسجين إلى خارجها.

تستخدم التكنولوجيا النانوية لتعزيز سلامة الأغذية بدمج حساسات نانوية، في العبوات الغذائية عبارة عن حبر ذكي يحتوي على جزيئات نانوية حساسة للأكسجين، وشديدة الحساسية للأشعة الضوئية، يتغير لون الحبر عند تعرضه لإحداها. وتُعد الحساسات المكونة من حبيبات نانونية الأحجام من أبسط وأرخص الأنواع الكاشفة عن حالة المنتج الغذائي المعبأ وسلامته. تستخدم تلك الحساسات البسيطة في اكتشاف أية تغيرات قد تطرأ على الغذاء المحفوظ في الحاويات الخاصة بتبريد الأطعمة، والمواد الغذائية، وكذلك داخل أماكن عرضها ومنافذ البيع، والتوزيع؛ حيث تستشعر المستويات الذكية للتغليف خصائص المنتج. تعتمد فكرة عمل هذه الفئة من الحساسات في اكتشاف وجود الأنشطة البكتيرية، والميكروبية من خلال التغير التدريجي الطارئ، على ألوان حبيباتها، فيستطيع المستهلك العادي تحديد مدى صلاحية المواد الغذائية الموجودة بها، ورصد أي تغيرات غير طبيعية قد تطرأ على الطعام نتيجة الإصابة بملوث بكتيري. يطلق على هذه العبوات«العبوات الذكية»، وهي تقنية تغليف توفر المعلومات للمنتجين والمستهلكين حول حالة المنتج دون تدهور العبوة. ونظرًا لما تتمتع به الحبيبات المُكونة لتلك الحساسات بمساحة أسطح كبيرة، فإن هذا يجعل منها مُستشعرات شديدة الحساسية تعمل عند أقل تركيزات بكتيرية أو ميكروبية، مما يزيد من مدد صلاحية المُنتجات الغذائية وبقائها على أرفف منافذ البيع

دون تلف. كما توجد «قوارير بلاستيكية» لا تتعرض للتلف أثناء التداول، وتحافظ على السوائل سليمة دون تلف لمدة تصل إلى ثمانية عشر شهرا، بإضافة أنابيب وحبيبات نانوية من الصلصال إليها.

كذلك فإن هناك عبوات ورقية تستخدم لتغليف المواد الغذائية، يضاف إليها ثاني أكسيد التيتانيوم، أو الفضة، بصورة متناهية الصغر فيحسن من الخصائص الحاجزية ضد بخار الماء والغازات والروائح.

حظيت المواد ذات البنية النانوية التي تحتوي على البروتين في تغليف الأطعمة الصالحة للأكل باهتمام كبير في سوق التغليف الحالي؛ فهي تستخدم على نطاق واسع في تغليف الأطعمة الصالحة للأكل لتمتعها بخصائص فيزيائية وكيميائية ممتازة، وتتمتع بالنشاط الحيوي، وتحتوي على مضادات الميكروبات والفطريات. ويتم الاستفادة من المواد ذات البنية النانوية القائمة على البروتين على شكل بلورات وجسيمات نانوية، والتي يمكن تصنيعها باستخدام عدة عمليات تؤدي إلى تحسين ظروف المعالجة بهدف توفير الشكل المستهدف. استخدام أغلفة الطعام التي تحتوي على البروتين لتعبئة المنتجات الغذائية الصلبة والسائلة، يمنع تدهور الغذاء وهجرة المواد المذابة في الأطعمة، ويحسن الخصائص، ويطيل العمر الافتراضي لها.

تأتي أهمية تقنية النانو في تغليف المواد الغذائية الصالحة للأكل؛ كونها تساعد في تقليل هدر الطعام، وتحسين سماته، والحفاظ على المنتجات الغذائية طازجة لفترة أطول، كما أنها صديقة للبيئة، وقابلة للتحول البيولوجي بطبيعتها. وتسهم تقنية النانو بشكل أكبر في استدامة المجتمع لأنها تقلل نفايات تغليف المواد الغذائية. ناقش الكاتب استخدام مختلف الجسيمات النانوية غير العضوية مثل جزيئات الفضة النانوية وثاني أكسيد التيتانيوم، وثاني أكسيد السيليكون، وأكسيد الزنك، وأكاسيد الحديد وغيرها مع المواد ذات الصلة في تغليف المواد الغذائية الصالحة للأكل، ومدى فعاليتها في الوقاية من الأمراض التي تنتقل عن طريق الأغذية. تحتوي هذه المركبات النشطة بيولوجيًا على أنشطة استثنائية مضادة للأكسدة، والالتهابات، والميكروبات، والأورام، ومرض السكر، والتهاب الأعصاب.

أدى تزايد طلبات المستهلكين على منتجات غذائية آمنة وصحية إلى تطوير تقنيات تغليف جديدة من أجل توصيل منتجات غذائية ذات طبيعة عالية الجودة؛ فإن الكائنات الحية الدقيقة التي تنقلها الأغذية هي أحد الأسباب الرئيسة في تلف الأغذية في المنتجات المعبأة والطازجة. لذلك يمكن أن يكون تطبيق عبوات مضادة للميكروبات أحد الحلول لتوفير منتجات غذائية آمنة وعالية الجودة مع فترة تخزين طويلة، وهي عبارة عن فئة من العبوات النشطة، مضادة للميكروبات، ومصممة خصيصًا لتحسين خصائص الطعام. ورغم كل ما تم ذكره من فوائد، فإن

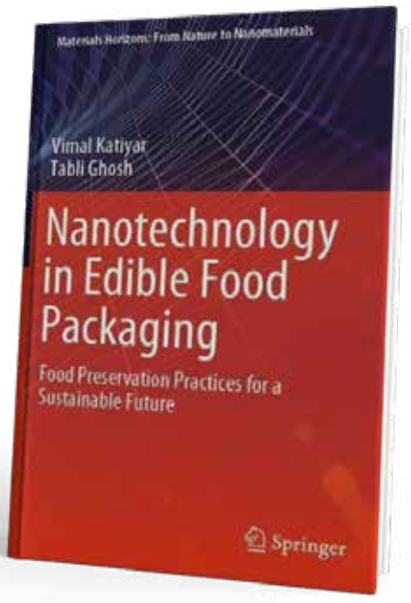

هناك جدلا حول درجة الأمان في استخدام المواد النانوية في حفظ الطعام.

أثبت عدد قليل من الدراسات حول تقييم المخاطر المحتملة لآثار المواد النانوية على جسم الإنسان، وأن هناك انتقالا لأيونات الفضة من المركبات النانوية إلى المواد الغذائية، ويزيد انتقالها في المواد الغذائية الحامضية، ومع تعرضها لحرارة أفران المايكروويف. وأوضح الباحثون أن هجرة الأيونات تتحدد من خلال آليتين مختلفتين هما، أولا: انفصال الجسيمات النانوية الفضية عن المركبات تحت تأثير الحرارة، مع ملاحظة أن مستوى هجرة أيونات الفضة كان بدرجة أقل من مستوى هجرة أيونات النحاس النانوي إلى المواد الغذائية، وثانيا: من خلال عمليات الانحلال التأكسدي لأيونات الفضة. ولا تزال هناك حاجة إلى مزيد من الدراسات حول السمية لضمان التنمية الآمنة للتكنولوجيا النانوية في صناعة تغليف الأغذية، وقد أشارت إحدى الدراسات إلى أن الجسيمات النانوية قد تسببت في موت بعض القوارض. أثبتت بعض الدراسات أن هناك مخاطر من استنشاق المواد النانوية (مثل الجسيمات النانوية، والكرات النانوية، وأنابيب الكربون النانوية) مما يؤدي إلى سريان هذه المواد داخل الجسم، ومن ثم وصولها إلى المخ. لذا؛ لابد للعاملين في تقنية النانو أن يلتزموا بالحذر، وبالاحتياطات اللازمة لتفادي استنشاق المواد النانوية على جميع أنواعها، أو ملامستها لجلد الإنسان. تستطيع جزئيات النانو تكنولوجي اختراق الأجهزة الحيوية في جسم الإنسان من خلال البشرة، والاستنشاق، أو البلع، ويسمح الحجم الصغير لتلك المواد لها بالمرور من خلال أغشية الخلايا، والحواجز البيولوجية الأخرى؛ مما يسمح لهذه الجزئيات أن تخترق الكائنات الحية بسهولة وتسبب الخلل. ومن أخطر جزئيات النانو البيولوجية أثرا أنواع الأكسجين التفاعلية، وأشعة الأنيون، وأشعة الهيدروكسيل، وبيروكسيد الأكسجين، والهيدروجين. إن الإفراط في التعرض لتلك المواد يمكن أن يسبب أكسدة تؤدي إلى فشل الخلايا في الحفاظ على الوظائف الفسيولوجية الطبيعية، وموت الخلايا المبرمجة، وإنتاج الخلايا السرطانية، والأمراض المزمنة المرتبطة بالعمر مثل مرض التصلب، والتهاب المفاصل، وأمراض القلب والأوعية الدموية، والزهايمر، والسكري، والسرطان.

لم يعد الحصول على المواد الغذائية من الأمور اليسيرة في معظم دول العالم خاصة الدول النامية؛ بسبب تدهور الطبيعة، والهجوم الميكروبي، والعوامل البيئية السيئة. لذلك من المهم أن يتم توجيه الجهود لتخزين الأطعمة لتوفرها في المستقبل، مع تقليل خسائر ما بعد الحصاد إلى أدنى حد، ونقلها بأمان مع الحفاظ على جودتها للمستهلك النهائي؛ لتقديم جودة محسنة للحياة تساعد بشكل أكبر في التنمية الاجتماعية والاقتصادية. ولهذا؛ فإن إيجاد الوسائل المناسبة للمحافظة على المواد الغذائية في صورة صالحة للاستهلاك لأطول فترة ممكنة صار من أهم الأمور التي تشغل الباحثين. لقد أثبتت فوائد تقنية النانو فعاليتها في حفظ الأطعمة الغذائية، لكنها تواجه بعض التحديات مثل التكلفة العالية، وقبول المستهلك، والحاجة إلى التغلب عليها لصنع منتجات أكثر قابلية للتطبيق صناعيًا.

قد تكون جزئيات النانو تكنولوجي مفيدة جدا في حفظ الطعام لما فيها من خصائص فريدة من نوعها مثل ارتفاع نسبة السطح إلى الحجم، والتفاعل، والحجم المجهري، لكن لا يمكننا تجاهل الاتجاهات المستقبلية للدراسات التي أشارت إلى إمكانية هجرة المواد النانوية إلى المواد الغذائية؛ فيمكن أن يكون لهذه الخصائص التي تحقق فوائد صحية في حفظ الأطعمة تأثيرات سامة. مازالت هناك حاجة إلى مزيد من البحث والتطوير العلمي لتقييم تطبيقات تكنولوجيا النانو في الغذاء، والمنتجات الزراعية من أجل إدارة الآثار السلبية المحتملة، وحتى نكون على ثقة من أن إضافة أي عنصر غريب من الجزيئات النانوية آمن، ولا يشكل خطورة على حياة الإنسان.

عنوان الكتاب: تقنية النانو في تغليف الأطعمة الصالحة للأكل: ممارسات حفظ الأغذية من أجل مستقبل مستدام

تأليف: فيمال كاتيار وتابلي جوش

الناشر: Springer Verlag

عدد الصفحات: 452

الطبعة: الأولى 2021.

اللغة: الإنجليزية

* كاتبة وباحثة مصرية

المستقبل الهش: الاقتصاديات غير المؤكدة للكوارث والأوبئة وتغير المناخ

فيتو تانزي

وليد العبري *

يعيد هذا الكتاب النظر في التمييز الذي قدمه الاقتصاديان فرانك نايت وجون مينارد كينز، في عام 1921: التمييز بين الأحداث المستقبلية المتوقعة إحصائيا «المخاطر»، والأحداث غير المؤكدة، التي لا يمكن التنبؤ بها إحصائيا «عدم اليقين».

لقد تجاهلت الحكومات بشكل عام هذه الأخيرة، معتقدةً أن الظواهر مثل الأوبئة والكوارث الطبيعية وتغير المناخ هي أفعال لا يمكن السيطرة عليها. ونتيجة لذلك، كان هناك القليل من الاستعدادات للكوارث المستقبلية، إن وجدت. مجتمعنا الحديث أكثر ترابطا وعولمة من أي وقت مضى. يتطلب التعامل مع الأحداث المستقبلية غير المؤكدة استجابة حكومية أقوى، وأكثر تنسيقا على الصعيد العالمي. يقترح هذا الكتاب دورا حكوميا أكبر وأكثر عالمية في التعامل مع هذه الكوارث، وتقليل التفاوتات الاقتصادية. من الضروري إجراء تغييرات مؤسسية كبيرة، مثل تنظيم القطاع الخاص للصالح العام، والتعامل مع الأضرار والمخاطر والأزمات الخاصة، لا سيما تلك المتعلقة بتغير المناخ والأوبئة؛ من أجل تحقيق أي مظهر من مظاهر التقدم المستقبلي للبشرية.

تستخدم الحكومات الضرائب والإنفاق العام والأدوات الأخرى لتعزيز السلع الجماعية، التي تحددها العمليات الديمقراطية. من الواضح أن تجميع الاحتياجات الفردية أمر صعب. في القرن الماضي، أضيفت الحاجة إلى إعادة توزيع الدخل، لتحقيق الاستقرار الاقتصادي وتصحيح إخفاقات السوق، إلى دور الحكومة. كان من المفترض أن تكون هذه الحاجة هي حاجة الأوقات العادية. تم إنشاء القواعد المالية للتعامل مع هذا.

جذبت المخاطر التي يمكن تحديد الاحتمالات الإحصائية لحدوثها الانتباه وأدت إلى إنشاء أسواق التأمين. ومع ذلك، لا يزال هناك القليل من الاهتمام بالأحداث غير المؤكدة أو العشوائية. أثرت هذه الأحداث أحيانا على البلدان والاقتصادات، مثل الأوبئة والمجاعات والكوارث الطبيعية وتغير المناخ. بالنسبة لهؤلاء، لا يمكن حساب الاحتمالات الإحصائية، ولم تستعد الدول لمجيئها المحتمل. يمكن اعتبار هذا فشلا للنظرية، التي وجهت سلوك الحكومة والسوق. غالبا ما تم تجاهل السلع العامة العالمية، أو الأضرار العامة قبل حدوثها. ربما أصبح بعضها أكثر أهمية بشكل تدريجي في الآونة الأخيرة.

تأتي الكوارث بأشكال وطرق مختلفة. بعضها مفاجئ وموضع بشكل عام، مثل الزلازل، والتسونامي والأعاصير وبعض الانفجارات البركانية. وبعضها يكون مفاجئا بشكل أقل، وقد يغطي مناطق أوسع، ويمكن أن يحدث ضررا لفترات أطول، مثل المجاعات والأوبئة وبعض الانفجارات البركانية والتغيرات المناخية. يمكن أن يكون التأثير على الأرواح والممتلكات طفيفا أو هائلاً. قد يكون التعامل مع بعض الكوارث أسهل، من التعامل مع الكوارث الأخرى. بشكل عام، تم اعتبار الكوارث من الخوارق وأنها أفعال يشعر الناس أنهم غير قادرين على الحماية منها. لهذا السبب، غالبا ما تكون هناك ردود فعل، ربما غير عقلانية، تتجاهل احتمال حدوثها. غالبا ما يزيد التنظيم المؤسسي للعالم - في العديد من البلدان وفي الحكومات الوطنية - من صعوبات التعامل مع الأحداث الضارة التي يكون تأثيرها عالميا.

تميل الحكومات الديمقراطية، واقتصاديات السوق إلى خلق عقبات خاصة، في الاستعداد لاحتمال وقوع أحداث غير مؤكدة. الانتخابات المتكررة تثني الحكومات عن إنفاق الموارد الشحيحة، للتعامل مع الأحداث غير المؤكدة، والتي قد لا تتحقق أبدا. الحاجة إلى تقليل التكاليف والبقاء في المنافسة تثني الشركات الخاصة عن إنفاق الموارد على الأحداث والكوارث المستقبلية غير المؤكدة. والنتيجة هي عدم الاستعداد لما يعتبر من أعمال خارجة عن إرادة الإنسان. الحياة على الأرض ليست دائما آمنة وممتعة. سجل التاريخ العديد من الأوبئة والمجاعات والكوارث الوطنية، بينما أدى التقدم الذي أحدثته الثورة الصناعية في الوقت نفسه إلى زيادة متوسط العمر المتوقع. أصبحت الأوبئة والأمراض المعدية أقل شيوعا في القرون الأخيرة، لكنها عادت إلى الظهور مؤخرا؛ بسبب زيادة الاتصالات بين الناس، وزيادة الاتصالات مع الحيوانات.

يقدم الكتاب أوصافا موجزة للكوارث الماضية، بما في ذلك الأوبئة، مثل طاعون أنطونيوس، والطاعون الأسود أو الطاعون الدبلي، والإنفلونزا العظمى. يناقش العلاقة المحتملة بين هذه الأوبئة، والتغيرات المناخية الناجمة عن الانفجارات البركانية الكبرى، كما يناقش أيضا بعض التغييرات التي ربما أحدثتها الأوبئة الكبرى، مثل عصر النهضة وبعض السياسات الحكومية. تم التأكيد على افتقار الحكومات إلى السلطة لفعل أي شيء في السنوات السابقة.

شهدت العصور الماضية أوبئة ومجاعات كبيرة. لفترة طويلة، تم التحكم في نمو السكان من خلال نسخة جامدة إلى حد ما من نظرية «المالتوسية» وهي فكرة أن النمو السكاني يحتمل أن يكون رأسيًا أما نمو الإمدادات الغذائية أو الموارد الأخرى فهو نمو خطّي؛ مما يؤدي بالمحصلة إلى تدني مستويات المعيشة إلى درجة قد تسبب الافتقار السكاني. في القرنين الماضيين، لعبت هذه النظرية دورا أقل مما كانت عليه في الماضي البعيد بسبب الثورة الصناعية، والمزيد من الأراضي الصالحة للزراعة في الأرجنتين وأستراليا والولايات المتحدة الأمريكية. ومع ذلك، في القرنين الماضيين، كانت هناك حالات فشل عرضية للمحاصيل، في الهند والصين؛ مما أدى في بعض الأحيان إلى انخفاض حاد في إمدادات الغذاء، وتسبب في مجاعات كبيرة. قتلت بعض هذه المجاعات الملايين من الناس، كما استمرت الأوبئة والأمراض في إحداث تأثيرات سلبية، وفي بعض الأحيان رافقتها المجاعات؛ مما زاد من تأثيرها سوءا. كان للأعمال البشرية تأثير متزايد على هذه التطورات.

إلى جانب الأوبئة والمجاعات، عانى البشر أيضًا من تأثير أنواع أخرى من الكوارث، والتي كانت في بعض الأحيان مدمرة للغاية للأرواح والممتلكات. من بين هذه الكوارث الطبيعية كانت هناك زلازل، وثورات بركانية، وفيضانات كبرى، وأعاصير وأمواج تسونامي. ورغم أن بعض هذه الأعمال كان خارجا عن إرادة الإنسان، فإن بعضها كان ناجما عن أفعال بشرية؛ بسبب التأثير المتزايد الذي بدأه البشر في الطبيعة. كان هذا التأثير البشري ينمو مع مرور الوقت، وكانت الزيادة في مستوى معيشة البشر تأتي بشكل متزايد بتكلفة طبيعية عالية.

جلب البحث في موضوع الذرة، في الخمسينيات من القرن

الماضي، إمكانية توليد الطاقة التي يحتاجها البشر بشكل متزايد من انقسام الذرة. بدأت النباتات الذرية في الظهور في الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا واليابان والعديد من البلدان الأخرى. كانت تكلفتها المنخفضة عامل جذب رئيسيا. كان اليورانيوم متاحا بسهولة، على الرغم من أن بناء المصانع كان باهظ الثمن. كما هو الحال في العديد من المنشآت الصناعية، كانت هناك بعض الحوادث تطلب إبلاغ وكالة تابعة للأمم المتحدة بها. تسببت الحوادث في أوكرانيا وفي فوكوشيما، في وقوع العديد من القتلى، وألحقت أضرارا جسيمة. لقد نبهوا العالم إلى الخطر الوجودي المحتمل لمصدر الطاقة الرخيص هذا وقللوا من الحماسة له. واصل مؤيدو الطاقة الذرية التأكيد على أنه على الرغم من الحوادث، تظل الطاقة الذرية مصدر طاقة متاحا ونظيفا نسبيا.

منذ بداية الثورة الصناعية، كان هناك العديد من الكوارث الصناعية الكبرى، بعضها في أجزاء مختلفة من العالم. ارتبط الكثيرون بأنشطة التعدين الخطرة بطبيعتها، كما ارتبط بعضها بصناعة الكيماويات المتنامية. تم ربط بعضها بنقل أو تخزين منتجات خطرة، ونتج بعضها عن تفاعل النشاط الصناعي مع الظواهر الطبيعية. حاولت اللوائح تقليل عدد الحوادث، لكن اللوائح التنظيمية تخلق بعض التكاليف، وقد قاومتها دائما الحكومات الخاضعة للتنظيم، والحكومات الأكثر تحررا التي تولي أهمية كبرى للنمو الاقتصادي والعمالة أكثر من الأمان. يصف الكتاب بعض هذه الحوادث التي أدت إلى وفيات كبيرة أو تدمير الممتلكات. لا يبدو أن الكوارث العديدة التي زارت البشر في الماضي قد أثرت على التفكير الاقتصادي الذي تطور في الغالب في القرن التاسع عشر والجزء الأول من القرن العشرين. في حين أن الأحداث «الخطرة» كان لها بعض التأثير، وأدت إلى تطوير صناعة التأمين، وبعض السياسات الحكومية، فإن الأحداث «غير المؤكدة» لم تفعل ذلك. استمر تجاهلها نظريا وسياسيا، واعتبرت من الخوارق الخارجة عن إرادة البشر. كان الافتراض الرئيسي، الذي استمر في توجيه النظرية والسياسة الاقتصادية، هو الاقتصاد الذي يعمل بسلاسة، مؤخرا، مع بعض الاعتراف بوجود دورات الأعمال. ومع ذلك، استمرت الأحداث السيئة، ولكن «غير المؤكدة»، مثل الأوبئة والكوارث الكبرى، في القيام بزيارات غير مرحب بها. عندما أتت، تسببت في صعوبات كبيرة، وحيرة في كيفية التعامل معها. الأمثلة الحالية لمثل هذه الأحداث هي جائحة كورونا، والاحترار العالمي بشكل متزايد. لا يوجد حتى الآن أي استعداد للأوبئة المستقبلية، ولا توجد استراتيجية واضحة بشأن ما يجب القيام به حيال الاحتباس الحراري. وكلما زاد متوسط العمر المتوقع الذي يتمتع به العديد من الأفراد، زاد احتمال تعرضهم لهذه المشكلات خلال حياتهم. شارك البشر الأرض مع أنواع أخرى، لكنهم بدأوا، بشكل

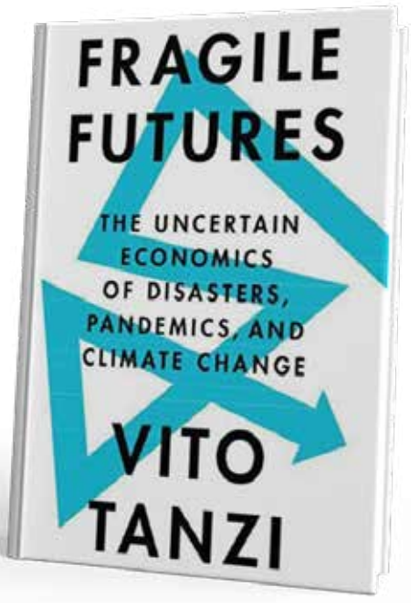

متزايد، في تشكيل البيئة الطبيعية لمصلحتهم الحصرية. في هذه العملية، قاموا بإنشاء تكاليف اجتماعية لا تنعكس في أسعار سلع وخدمات السوق. حدث هذا بشكل خاص في استخدام الوقود الأحفوري لإنتاج الطاقة، ولكن أيضا في منتجات أخرى، مثل لحوم البقر والبلاستيك. لقد دخل البشر ما كان يُطلق عليه «عصر مركزية الإنسان»، وهو عصر أصبحوا فيه ينظرون إلى الأرض على أنها ملكية خاصة لهم. مثل معظم الممتلكات الخاصة، يمكن «استخدامها وإساءة استخدامها» من قبل المالكين من أجل رفاهيتهم الحصرية. لقد زاد عدد البشر بشكل هائل خلال القرن الماضي، ومن المتوقع أن يستمر في الزيادة بمليارات أخرى هذا القرن. يستخدم البشر الموارد الطبيعية للحفاظ عليها ولتحسين مستوى معيشتهم. كانت بعض المحاولات لتقليل تأثيرها السلبي على العالم الطبيعي جارية منذ عدة عقود (استخدام «الطاقة الخضراء» وما إلى ذلك). حتى الآن، كانت هذه المحاولات بعيدة عما هو مطلوب لمنع العالم من أن يصبح أكثر فقرا من الناحية البيولوجية، ومن جعل المناخ أكثر دفئا بشكل خطير. لقد أولت أصولية السوق القليل من الاهتمام، أو لم تهتم بهذه المشاكل اهتماما كبيرا بتحسين الإنتاج والدخول. هناك حاجة واضحة لتغيير تفكيرنا الاقتصادي النظري وسياساتنا بشكل كبير. والأسرع أفضل، لكن التغييرات المطلوبة صعبة للغاية.

تاريخيا، كان هناك ميل لرؤية الأحداث السيئة العشوائية، مثل الكوارث، وشملت هذه الأوبئة والتغيرات المناخية. خلقت الثورة الصناعية طلبا كبيرا ومتزايدا على الطاقة التي تم توفيرها بشكل متزايد من خلال الوقود الأحفوري «القذر». كما أنها أوجدت إيمانا قويا بـ «التقدم». ساهم النمو السكاني، وارتفاع الدخل في الطلب على المزيد من الطاقة. أدى استخدام الوقود الأحفوري (الفحم والنفط والغاز وما إلى ذلك)، إلى زيادة تدريجية في كمية غازات الدفيئة في الغلاف الجوي. في العقود الأخيرة، زادت هذه الغازات بوتيرة أسرع مما كانت عليه في الماضي؛ مما أدى، حتى الآن، إلى زيادة متوسط درجة حرارة العالم بأكثر من درجة واحدة مئوية. أصبحت تأثيرات هذا التغير في درجة الحرارة ملحوظة بشكل متزايد. من المتوقع أن ترتفع درجة الحرارة أكثر في السنوات المقبلة، ويمكن أن تصل الزيادة إلى درجتين أو تتجاوزهما، مما قد يكون له آثار كارثية محتملة. في ظل الاتجاهات الحالية، يبدو أن مثل هذه الزيادة مرجحة بحلول عام ٢١٠٠. قد تتباعد التأثيرات متوسطة المدى لارتفاع درجة الحرارة بين الدول، مع بعض المكاسب (خاصة روسيا وكندا) والعديد من الدول الخاسرة. في ظل الاتجاهات الحالية، سيكون من الصعب للغاية إيقاف هذه العملية، على الرغم من المحاولات المستمرة لإبطائها. كانت السنوات الأخيرة هي الأكثر دفئا على الإطلاق. هناك اتجاهات بيئية أخرى مثيرة للقلق تتطلب الاهتمام والحلول (على سبيل المثال، الاستخدام المفرط للبلاستيك والأسمدة والمواد الكيميائية الضارة).

يستمر الهيكل المؤسسي العالمي الحالي في تعزيز السلوك الفوضوي من قبل البلدان الفردية. لا توجد مؤسسة عالمية حقيقية، وفعالة لتعزيز المنافع العامة العالمية المرغوبة. ظلت السياسات الرئيسية وطنية، مع القليل من التنسيق، ولا يزال رفع مستويات المعيشة هو الهدف الأهم، على الرغم من تأثير ذلك على البيئة أو على توزيع الدخل. لا يزال الاحترار العالمي ليس له التأثير الذي يجب أن يكون على السياسات العالمية. استمرت السياسات النقدية، والمالية في التركيز على النمو. من الواضح أن هناك حاجة إلى التصحيحات للتعامل بشكل أفضل مع الإنصاف والسياسات البيئية. النتيجة النهائية لهذا الاتجاه غير معروفة ومقلقة، ومن الواضح أنه أصبح من الأصعب مما كان عليه في القرن التاسع عشر، قبول الرأي القائل بأن المستقبل مرتبط بالتقدم وأن مستوى معيشة البشر سيستمر حتماً في التحسن.

الكتاب: المستقبل الهش: الاقتصاديات غير المؤكدة للكوارث والأوبئة وتغير المناخالمؤلف: فيتو تانزي

دار النشر: جامعة كامبرج للنشر والطباعة.

سنة النشر: 2022

اللغة: الانجليزية

عدد الصفحات: 242 صفحة

* كاتب عُماني

الصين: كيف يصنع الغرب الأعداء؟

سيرج بيرتييه

محمد حركات *

ولد سيرج بيرتييه، الكاتب الفرنسي المعروف بمدينة ليون، و تابع دراسته العليا بباريس. ولقد تحمل خارج بلاده عدة مهام ترتبط بعالم الأعمال و المال والإعلام . وفي عام 1986 استقر في هونغ كونغ وأسس شركة استشارية، وتولى نشر دورية «الرسالة من هونج كونج والصين» المخصصة لمجتمع الأعمال. و في عام 1997 ، التقى بالرئيس الصيني جيانغ زيمين. و في عام 2001 ، أصبح أحد الأعضاء المؤسسين لمنتدى بواو لآسيا (Boao Forum for Asia) الذي أنشأته الصين ليشمل خمسة وستين خبيراً، ويعد بمثابة دافوس آسيوي في مجال الاقتصاد والمال.

وفي عام ٢٠١٣ ، تقاعد سيرج بيرتييه من عالم الأعمال ليتفرغ للكتابة والتأليف . وهو يقيم اليوم إقامة دائمة بهونغ كونغ .ومما لاشك فيه، أن هذه التجارب العلمية والعملية هي كلها عوامل أهلته للاطلاع الواسع والتعرف على المجتمع الصيني و مميزات منظومة حوكمته .

صدرت للكاتب عدة مؤلفات، منها: «الصدمة» وهو أول كتاب صدر له عام ٢٠١٤، كرسه لدراسة تاريخ علاقات الصين مع الغرب؛ ليبرز مدى الحاجة للتعرف على عودة الصين ، امبراطورية الوسط، القوية؛ لتجاوز الاقتصاد الأمريكي بعد توقف قرنين من الزمن، طيلة المدة ١٨٤٠ و١٩٤٩ وأثناء الحرب التي شنها الغرب على الصين على أمل كسرها. ويرى الكاتب أن النتيجة كانت عكس ذلك في تقوية الصلابة النفسية والقدرات الاستراتيجية والتنظيمية لدى هذا البلد في مواجهة الهيمنة الغربية. وفي عام ٢٠١٧ كتب كتاب « العيش في هونغ كونغ» التي عاش فيها ما يناهز ثلاثين سنة، حيث تمكن من إزالة الغموض حولها وتقريبها إلى القارئ، وهي المدينة التي كتب عنها وزير الخارجية البريطاني لورد بالمرستون في عام ١٨٤١ قائلا» إن هونغ كونغ جزيرة خالية بها ما يزيد قليلا عن منزل»، و قد أصبحت اليوم مدينة عملاقة يبلغ عدد سكانها ٧ ملايين نسمة، تمتد على مساحة ١١٠٠ كلم٢ ، وذلك بعد عشرين عاما من تسليم هونغ كونغ للصين، مسترجعا أولاً تاريخها، وتاريخ منطقة برمتها، ذات ماض مضطرب؛ وليقدم أسطورة مدينة رائعة في شكل حوار شيق وأنيق، ضمن نزهة في شوارعها حين يعطي الكلمة لسكانها للتكلم عنها، حيث يغري القارئ في السفر لزيارة واكتشاف هذه الدولة-المدينة الفريدة من نوعها في العالم.

أما كتابه الأخير الصادر في ربيع سنة ٢٠٢٢ « الصين :كيف يصنع الغرب الأعداء؟ «، موضوع مراجعتنا، فهو يبرز أن العديد من يسمون أنفسهم بالمتخصصين في الشأن الصيني وفي الـ «تبت» وهونغ كونغ لا يستندون في عروضهم إلى حقائق ووقائع ملموسة، وأن الكثير من المعلومات الواردة تأتي جميعا من نفس المجموعات والمؤسسات المعادية للصين، وأن هذه الجهات عامة تعمل على خلق وابتداع أساليب جديدة في الدعاية عبر نشر شائعات لا تستند إلى حقائق واقعية وحجج ثابتة. لذلك نجد الكاتب، وفق معاينات في عين المكان وجرأة غير معهودة، يهدف إلى رفع العديد من الملابسات و الأوهام التي هي في حاجة ماسة إلى التوضيح، بناءً على حجج ومبررات متينة ووثائق قوية ، لم تعمل وسائل الإعلام الغربية الكثير من أجل إبرازها؛ حيث يحرص سيرج بيرتييه على فحص مجموعة من الأسئلة التي تغمر لقاءات ونشرات وبرامج وسائل الإعلام المرئية والمسموعة : هل الصين تكذب؟ هل تريد أن تفرض أسلوب حياتها؟ هل تضطهد سكانها؟ كيف يفكر الصينيون ؟ ما هي فلسفتهم في الحياة ونمط عيشهم وأوضاعهم وأسواقهم وحقوق الإنسان عندهم ؟ هل تسعى الصين إلى توسيع مناطق نفوذها؟ ما هي مستلزمات التنمية فيها والمنجزة لفائدة ١,٤ مليار نسمة ؟ ما هو جوهر قضية تايوان؟ لماذا استراتيجية توظيف هذه الأخيرة للسيطرة على الصين؟ ما علاقة الصين بالعالم ؟ ومن يحكم العالم؟

هذه جملة من الأسئلة التي جاء الكتاب للإجابة عنها؛ سعيا منه لدحض الادعاءات والأكاذيب المغرضة في حق الصين ، قائلا «نعم ، إن تقديم الصين على أنها «الرجل القبيح « هو نقل خيالي لخصوم أو منافسي امبراطورية الوسط، ويعد مشاركة في عنصرية الدولة الموجهة ضد دولة نتجاهلها بشدة».

والواقع، أنه عندما يتناول موضوع الصين وكيف يصنع الغرب العداء ضدها فهو يعرف عما يتحدث؛ إذ إنه ليس باحثا جاهلا بمجرى الأمور وما يدور بشأنها من نقاش حول كيف يفكر الصينيون؟ والأفكار التي تراود الغرب حول شمولية الحكم وحقوق الإنسان والأقليات، وعلاقة الصين بوحدة ترابه. ومن هنا تنبع الصدمة المنقذة الناجمة عن قراءة هذا الكتاب الجريء الذي يؤكد وعلى أكثر من صعيد جدلية علاقة الصين بالعالم والعالم بالصين.

لذلك جاء الكتاب للرد على الكتاب الغربيين من خلال مواجهة أقوالهم الخاطئة حول البلد؛ حيث يجعل القارئ بعد قراءته للكتاب ينظر بصورة مغايرة للأوضاع والوقائع التاريخية الملموسة التي يعرضها ، وعن معرفة ودراية ويقين ، مقارنة مع كتاب مماثلين؛ إذ إن الأمر يتعلق بتبني قطيعة مع التحليل الاستراتيجي المهيمن في مقارنة الصين مع العالم مبرزا بدقة متناهية عمليات صناعة العدو عند الغرب بالتركيز على حالة الصين.

ويمكن القول إن هذه المقاربة في العرض والتحليل تعد مُدمِّرة بالنسبة للأفكار المسبقة عن هذا البلد؛ لأنها تبرز مدى سيطرة الإعلام في نشر الخرافات والايديولوجيات والأكاذيب المتعددة ، سعيا وراء إخفاء الحقيقة أو إفشاء معرفة غير كاملة عن الصين. لذلك نجد أن أطروحة سيرج بيرتييه تقترب إلى حد ما إلى أطروحة بيار كونيسا « صنع العدو أو كيف تقتل بضمير حي» الصادر عام ٢٠١١، والذي يتميز بتأكيده على أن تفكيك العدو يمثل عملية سياسية وسوسيولوجية بامتياز للتأسيس للتزكية الجماعية، ويرنو إلى تحليل كيفية قيام علاقة العداوة، وكيف يبني المتخيل قبل الذهاب إلى الحرب ليجعل العنف شرعيا ومقبولا تشارك فيها عدة أطراف في التحريض على الحرب وتحديد هويته ويتضمن الأمر بالنسبة للطرف الأول المؤسسات العامة والمنظمات العسكرية كالاستخبارات والمنظمات الإدارية ومراكز الفكر. أما محددو العدو، يعني الطرف الثاني، فهم يعنون خصوصا بتحليل العلاقات بين الجماعة والآخر، وهم المثقفون ووسائل الإعلام والصحفيون والجامعيون.

حين لفض الكسندر ارباتوف، المستشار الدبلوماسي لمخائيل غورباتشوف ، جملته الشهيرة « سنقدم لكم أسوأ خدمة، سنحرمكم من العدو» فقد أثبت مدى أيدولوجية بناء العدو في تكريس خطاب الخوف عند الآخر يعني من «العدو التصوري» في نظرية الإبطال التقني للقطاع الاستراتيجي الغربي. في الأمس القريب كان العدو هو المد الشيوعي، ليأتي بعده الإرهاب ونظام صدام حسين وإيران واليوم أصبح العدو يتمثل في روسيا والصين .

وفضلا عن ذلك، يلتقي المؤلف مع طروحات الوزير الأول الفرنسي الأسبق والممثل الخاص لوزير الخارجية بالصين ، بيار رافان ، في كتابه « الصين ، المفارقة الكبرى» ،الصادر عام ٢٠١٩، والذي يعتبر فيه أن الصين تعد تهديدا للعديد من الأوروبيين وأن هذا الخوف يرجع بالأساس إلى عدم معرفة هذا

«الشرق المعقد» مناديا إلى ضرورة بناء جسور وعلاقات مثمرة معه عبر اكتشاف ثقافته الكبرى وقوته الاقتصادية العالمية ، في سبيل بلورة استراتيجية تعاون و شراكة متينة ومتوازنة مع الصين ، اعتبار للسعي الحثيث للحليف الأمريكي إلى إضعاف أوروبا .

وينبغي تسجيل الخلاصات الجوهرية الآتية للكتاب :

أولا ، تبني الكاتب مقاربة مقارنة بين الصين والغرب (أوروبا وأمريكا)، ولاسيما بين الصين وفرنسا، بلده الأم، في عدة مجالات ترتبط بالحوكمة وقيم العمل الدائم وحقوق الإنسان وكثافة البنيات التحتية ، في مجال الصحة والنقل وإدارة المدن والابتكار التكنولوجي والعسكري، فضلا عن الأمن الغذائي، وعدم وجود شن حرب أو تعدٍّ على أي بلد غربي ،وتوسع مناطق النفوذ عالميا ،علاوة على الصرامة المعتمدة في التدبير وتفوقها الملحوظ في إدارة أزمة جائحة كوفيد- ١٩ ، مع الإشارة إلى أن هذا الوباء نجم عنه، في فرنسا ،حسب الكاتب ، التضييق على الحقوق والحريات الأساسية للمواطنين و أتاح التشريع بمراسيم للحد منها ،مثل حظر التجول ، وهو المفهوم الذي تم نبذه من المفردات السياسية منذ الحرب العالمية الثانية.

ثانيا ، نجاعة أداء الحوكمة في الصين ، حيث يعلم الجميع أن ماوتسي تونغ عندما استرجع الصين كان عدد سكانها ٤٠٠ مليون نسمة وهو العدد نفسه في عام ١٨٤٠ . هذا يعني أنه باحتساب نسبة نمو طبيعية يتأكد أن ١٠٠ مليون من الأرواح قد زهقت أثناء الحرب العدوانية الغربية على بلد ذي سيادة. لكن هل يتجرأ الغربيون على القول إن الصين استطاعت أن تنتشل مئات الملايين من الناس من براثن الفقر؟ وما هو المثال الذي يقدمه الغرب بتدمير العراق وسوريا وليبيا وأوكرانيا للتحدث فقط عن أحدث ضحايا أوهامه؟

ثالثا، تميز النموذج التنموي في تبني التخطيط الاستراتيجي في تنمية البلاد وغياب الانشغال بانتظارات الاستحقاقات الانتخابية، على غرار ما هو معمول به في الغرب، فالاهتمام بقيم العمل الدائم واحترام الوقت وربط المسؤولية بالمحاسبة هي من محددات العقيدة السياسية والقيمية والفكرية الصينية . فالمنظومة تتميز بعدم الإفلات من العقاب عند فشل المسؤول في إدارة دواليب الدولة أو التستر على الفساد الذي يتشدد العقاب حوله ليبلغ أحيانا عقوبة الإعدام أو السجن مدى الحياة، وهي القيم التي فقدتها النخب الأوروبية منذ مدة بعيدة في العمل . ومن البديهي، يستنتج الكاتب أن تصبح الصين مزعجة وتشكل تهديدًا، وستظل دائمًا كذلك طالما أن الغرب لا يعترف بأن قطبية العالم آخذة في التغير وأن الحضارة الغربية فقدت بوصلتها. لكن هل الوضع هو درامي إلى هذا الحد يتساءل الكاتب ؟ و هل الاستعجال يكمن في التغير المناخي أم في الصين ؟

رابعا، فيما يخص شمولية الحكم في الصين، يعتبر سيرج بيرتييه أنه عندما يتحدث الناس معه عن دولة بوليسية ، يقول» أفكر في فرنسا حيث بمجرد عبوري الحدود، أرى مسؤولي إنفاذ القانون من جميع الأنواع في كل مكان، وأنه أصبح من الشائع جدًا أن لا أحد يحتج على أن ضباط الشرطة في سيارات لا تحمل علامات ، وهو أمر غير موجود في الصين (إلا فيما يخص الخدمات

الخاصة). وبمجرد الإعلان عن الحبس، أعلن وزير الداخلية الفرنسي بفخر أن الغرامات في ازدياد دائم حيث تم في أسبوع واحد، تم تنفيذ١٧٣٨٩٠٧ مراقبة، وفي يوم واحد تم وضع ٢٢ ٥٧٤ غرامة. وبحسب محكمة الحسابات الفرنسية «من المستحيل التحديد المباشر لعدد الغرامات التي يتم إصدارها كل عام من قبل جميع دوائر الشرطة. لأننا نتحدث عن وصفة تتجاوز الآن ٢ مليار يورو. وعلى ضوء هذا المبلغ يقر الكاتب قائلا، إن المواطنين الفرنسيين هم بالفعل ضحايا لحالة مراقبة أورويلية، نسبة إلى George Orwell، حيث يتم تنظيم كل هذا بمرسوم. ومن المسلم به أن هناك بالصين عددًا لا نهائيًا من الكاميرات ومليارات البيانات المتراكمة، لكنها تُستخدم حاليًا لتحليل التدفقات للأغراض الاقتصادية، أو أحيانًا لتتبع المجرمين المطلوبين، وليس لمراقبة المواطنين». لذلك يبدو، حسب الكاتب، أنه من الصعب الادعاء أن المواطنين الصينيين هم ضحايا دولة شمولية ونظام ليننيي. وخلافا لذلك، يعتبر أن المواطنين الفرنسيين هم ضحايا حزب فاسد ولعمليات واسعة في الاحتيال، ويلاحظ أنه خلافا للمنظومة القضائية الصينية المتميزة بالصرامة في تطبيق وتشديد الجزاءات العقابية في حق المتابعين بالفساد الى درجة الإعدام نجد أن الطبقة السياسية بفرنسا وأمريكا تتميز بتفشي ظواهر الزبونية وتضارب المصالح مقابل بطء المساطر و تسامح القانون في ممارسة السياسة من خلال شغل مناصب حكومية عليا رغم وجود سوابق جنائية ومتابعات في حقهم في مجال الفساد.

في عام ٢٠١٩، واجهت الحكومة الصينية الفساد من خلال متابعة ١٨,٥٨٥ موظفًا حكوميًا، بزيادة قدرها ٩٠٪ مقارنة بالعام السابق، بما في ذلك ستة عشر من كبار القادة السياسيين (رئيس إقليم أو وزير). و بلغ عدد المتابعين ٢٥٠٠٠ نفر، بتهمة الفساد والاختلاس والرشوة. تم إدانة ٢٩٠٠٠ شخص لهذه الممارسات.

خامسا :كيفية التعامل مع التبت والإيغور والأقليات في الصين : يرى الكاتب أن السلطات تتعامل مع مقاطعة التبت مثل باقي المقاطعات الأخرى وأن الحكومة المركزية استثمرت بكثافة في الجسور والطرق السكك الحديدية وأن مدينة (لهاسا) متصلة الآن ببكين بواسطة قطار فائق السرعة ، وهو إنجاز تقني كبير لأنه أحدث قطار في العالم ، تم زرعه في التربة الصقيعية. أما فيما يخص ادعاء المعاملة السيئة للأقلية المسلمة الإيغورية فإن وسائل الإعلام الغربية تسعى إلى تقديم وجه خفي للصين، كما هو الحال مع جائحة كوفيد-١٩١٩ ، حيث لم يسبق التكلم عن هذه الأقلية قبل ١٩٨٩؛ لأن النقاش بدأ بعد سقوط نظام الأفغان نتيجة خروج الاتحاد السوفياتي من هذا البلد، وغزو القوات الأمريكية له حيث فرت هذه الأقلية من الحرب وأمراء الحرب ولجأوا الى الصين . لكن لماذا هذا الاهتمام بهذه الأقلية المسلمة ضمن ٥٦ مجموعة عرقية تعيش في الصين. إن الهدف يكمن في استعمالها كورقة لمس استقرار الصين. أما الادعاء بإبادتهم فهذا غير صحيح على الإطلاق، إذ كيف يتصور أنهم كانوا موضوع إبادة وعددهم كان في الثمانينات يقدر في ١٠٠٠٠ نسمة ليرتفع إلى ما بين ٨ و ٩ ملايين خلال ٤٠ سنة ؟

لترد الصين بشدة مشيرة إلى أن هناك مؤسسات التعلم المدرسي تهدف إلى محاربة التلقين الديني من خلال تسهيل التنشئة الاجتماعية للشباب المنجذبين إلى التطرف أو إعادة التثقيف إذا لزم الأمر ذلك.

سادسا: البعد الاستراتيجي للكتاب في البحث في نفقات الدفاع العسكري الأمريكي التي بلغت ٧٧٠ مليار في سنة ٢٠٢١ وذلك للحفاظ عالميا على المصالح الحيوية للولايات المتحدة وتعزيزها لحيلولة دون وصول دول قادرة على منافستها في الساحة الدولية.

سابعا: الدعوة الى الحذر الشديد من وسائل الإعلام المتلاعبة بالمعلومات لأغراض سياسية والمستفيدة من موارد و دعم شبكات غير معروفة في خدمة ايديولوجية الغرب والمتمثلة في تعزيز استراتيجية نشر عنصرية الدولة ضد عدوين وهميين وشعبين (صيني وروسي) لاعتبارات عدة: الأول اقتصادي بحت بموجبه أصبحت الصين القوة الاقتصادية الأولى في العالم. ومن الواضح أنها وصلت إلى هناك بفعل تبني حوكمة قوية قوامها أساسا: التخطيط الاستراتيجي، دينامية السوق الداخلي، محاربة الفوارق الاجتماعية، وخاصة قيم مجتمع العمل والجد، والغرب لا يرضى بذلك على الإطلاق.

الكتاب: الصين: كيف يصنع الغرب الأعداء؟

المؤلف : سيرج بيرتييه

دار النشر : مطابع بانتيون ، باريس

السنة : 2022

اللغة : الفرنسية

عدد الصفحات :162

* أكاديمي مغربي

مدخل إلى علم الأخلاق

ميشا هـ. فرنر

رضوان ضاوي *

يقدم هذا الكتاب «مدخل إلى علم الأخلاق»، الذي ألّفه ميشا هـ. فرنر -وهو أستاذ للفلسفة ومتخصص في الفلسفة التطبيقية في جامعة غرايفسفالد- مدخلاً تعليمياً، بهدف الفهم الأساسي للأخلاق الفلسفية وأسئلتها؛ وبالتالي المساهمة في بلورة الأحكام الأخلاقية وتطوير النظرية الفلسفية الأخلاقية. وينصب التركيز هنا على مفهوم الأخلاق المعيارية، الذي يتم استخدامه في سياق واسع جدًا يتضمن مناهج علم الأخلاق؛ فهي تنطوي على إنشاء أو تقييم المعايير الأخلاقية التي نحاول بها معرفة ما ينبغي أن يفعله الناس أو ما إذا كان سلوكهم الأخلاقي الحالي مقبولاً، في ضوء المعايير الأخلاقية المستخدمة في هذا السياق.

يتَّبع عرض أفكار هذا الكتاب التسلسل الزمني، مما يسهل على القارئ فهم سياق تاريخ الأفكار. وقد كرّس المؤلف الجزء الثاني؛ من الفصل الثاني إلى الفصل السابع من هذا الكتاب لتقديم المناهج الكلاسيكية للأخلاق المعيارية العامّة، التي تعتبر أساسية في الخطاب حول الأخلاق. ومن أجل مزيد من الدراسة المتعمقة في مجال الأخلاق، تعامل الفيلسوف ميشا هـ. فرنر مع عدد قليل فقط من المواقف النموذجية وسائل كل واحدة منها عن أهميتها المنهجية المستمرة في التاريخ العام للفلسفة الأخلاقية التي تتضمن أيضًا مناهج لم يتم التعامل معها في هذا الكتاب، مثل أخلاقيات سبينوزا أو فلسفة هيجل الأخلاقية والقانونية.

أما في الفصل الثامن والأخير من الجزء الثاني، فيلقي الكتاب نظرة عامة على المشاكل والحجج والمواقف المركزية التي تنسب إلى الأخلاق الفوقية، وهي أحد الفروع الثلاثة للأخلاقيات التي يدرسها الفلاسفة عموماً، إضافة إلى الأخلاق المعيارية والأخلاق التطبيقية. بينما يتناول الجزء الثالث؛ أي الفصل التاسع، وظيفة توجيه الأخلاق في المجتمع الحديث، حيث تمت مناقشة إمكانيات وحدود الفلسفة الأخلاقية في التوجيه وانفتاحها على تعددية الخطاب الأخلاقي، وتحديد معاني تعدد النظرية، والتمييز بين مستويات المشاكل، ومنطلقات التوجيه الأخلاقي. بعدها يناقش المؤلف في الفصل العاشر السؤال عن الدور المحدد للأخلاق في المجتمع الحديث، وأخيرًا يلقي الكتاب في فصله الحادي عشر نظرة على أخلاق التخصصات؛ مثل أخلاق الطب وأخلاق الحيوانات وأخلاق البيئة وأخلاق العلم والتقانة، والاقتصاد، وأخلاق التواصل ووسائل الإعلام.

ويقدّم الكتاب مدخلا علمياً عاماً ومبسطاً في فلسفة الأخلاق.. إنه يشرح تطور مصطلح الأخلاق التاريخي، والمشاكل الأساسية المرتبطة به، ويعرض المؤلف فيه أهم الخطوط الأساسية العريضة وأهميتها الراهنة في مختلف الحقوق التطبيقية. ويسهل المدخل التاريخي النسقي فهم سياق النظرية الأخلاقية والممارسة المجتمعية. ويؤدي هذا المدخل إلى التعرف على مفهوم الأخلاق، وهو مفهوم يتمتع بميزة احترافية، رغم أن الخلافات الاصطلاحية في الواقع لا تزال دون حل. ويعكس الهدف الأساسي والتاريخي لهذا الكتاب التعليمي فهمَ المشاكل والحجج الأخلاقية على نحو نسقي وتبليغ المناهج التعلمية؛ وبالتالي المساهمة في الحكم الأخلاقي للفرد من خلال الاقتراحات الاصطلاحية أو اختيار الحجج والمواقف المثيرة للجدل، فقد جرت محاولة لجعل المواصفات والشروحات في المفاهيم صريحة قدر الإمكان، مع مراعاة البدائل الممكنة. كما يتيح هذا الكتاب إمكانية الاطلاع على مقتطفات من النصوص الأصلية موضوع الكتاب؛ وهي مختارات من النصوص الكلاسيكية عن الأخلاق الفلسفية. كما يحتوي الكتاب على لوحتين بالألوان، وتعريفات وشروحات، ويتعمق في عرض التصورات والمفاهيم، إضافة إلى مسرد للأشخاص والمواضيع؛ ومما يساعد القارئ على سرعة البحث في الكتاب وسهولة القراءة فيه.

وضمن الأسئلة الأخلاقية الأساسية، يعتبر المؤلف الأخلاق أهمَّ العلوم، ذلك أن العلماء يميلون دائمًا إلى السؤال الذي يتحدث عن الأخلاق: ما الذي يمكن أن يكون أكثر أهمية من معرفة ما نقف بجانبه؟ كيف يتم توجيه العمل إلى الجانب الآخر؟ كيف تتوفر الحياة الجيدة والناجحة وكيف نعيش مثل هذه الحياة؟ هل هناك ما هو ضروري أكثر من الاعتراف بما يجب علينا فعله بشكل مطلق والامتناع عن القيام به، وهل مسموح لنا أن نتصرف بالطريقة التي تناسبنا؟- قليلون سوف يجادلون في هذه الأسئلة الأساسية والمتخصصة في الأخلاق، إنها الأسئلة التي لطالما ادعت الأخلاق مسؤوليتها عنها، وعلم الأخلاق له أهمية قصوى بين العلوم التي لا تشكك في أهمية القضايا الأخلاقية الأساسية.

أما عن الحدود الأخلاقية للمعرفة، فيذكر المؤلف أنه منذ بداية النقاشات الأخلاقية الفلسفية، كان هناك نقاش مكثف حول ما يمكن أن تحققه الأخلاق وما لا يمكن أن تحققه، فهي يمكنها أن توفر معلومات حول كيفية حصولنا على حياة ناجحة وسعيدة، أو حول ما يجوز لنا القيام به من أجل ذواتنا، وما يجوز لنا القيام به من أجل الآخرين. وإذا ما تعلق الأمر بمعرفة أخلاقية؟ أم يتعين علينا الاعتماد على قوة الحكم التي تأتي من تجربة الحياة أكثر مما تأتي من العلم بالنسبة لجميع الأسئلة التي تدخل في نطاق التوجيه السلوكي؟ فربما كانت الأخلاق، بوصفها مختصة بحقل علمي معين أو الأخلاق التطبيقية، تقدم أيضًا إجابات لأسئلة أكثر تحديدًا حول توجيه السلوك. فهل المعرفة الأخلاقية وحدها كافية لضمان السلوك الصحيح أو الجيد، أم هل يجب إضافة شيء آخر لضمان القناعات الأخلاقية واكتساب القوة التحفيزية؟

ومع ذلك، يؤكد المؤلف على أن طرح مثل هذه الأسئلة وشرحها يستدعي الدخول في مناقشات أخلاقية-فلسفية، فمن يريد معرفة ما إذا كان هناك حل لمشكلة في الرياضيات أو ما يمكن أن تحققه الرياضيات، عليه أن يتعامل مع الرياضيات. وإذا سعى المرء إلى معرفة إمكانيات وحدود المعرفة الأخلاقية، يجب على المرء الانخراط في المناقشة الأخلاقية.

ويمكن أن نلاحظ تشديد الكتاب على الدعوة إلى إعادة تأهيل الفلسفة التطبيقية منذ منتصف القرن العشرين، حيث زادت الثقة في ضرورة توضيح الأساليب الأخلاقية في العلم بطريقة عقلانية. وقد ذكر المؤلف الأسباب العلمية الداخلية في الفصول الأول والسابع والثامن. وفي السبعينيات شهدت الفلسفة التطبيقية عملية إعادة تأهيل وتشخيص. وتصطدم الكتابات الفلسفية التي تتناول شروط الحياة الجيدة والناجحة بالمصلحة العامة الواسعة، وكذلك بالتحديات الأخلاقية الناتجة عن التطورات العلمية والتكنولوجية والسياسية العميقة في القرنين العشرين والحادي والعشرين. ولا يمكن التعبير عن البيانات الأخلاقية الضمنية دون معرفة طرق ومواقف التبرير الأخلاقي انطلاقاً من البحث في الأسئلة الأخلاقية الأساسية - أسئلة حول توجيه سلوكاتنا أو عما ينبغي أن نفعله أو لا نفعله بصفتنا أشخاصاً قادرين على اتخاذ القرار، وبالتالي نتخذ باستمرار قرارات نعتبرها قائمة على أسس جيدة إلى حد ما. ونحن نتصرف، نتخذ مرارًا وتكرارًا -بوعي، أو بطريقة تأويلية وعقلانية- المواقف وخيارات السلوك التي تؤثر في الحياة وكذلك في حياة الآخرين. وعليه، فإن الرأي القائل بأنه لا يمكن إعطاء أجوبة عقلانية على الأسئلة الأخلاقية، من شأنه أن يرقى إلى افتراض، ذلك أن معايير أفعالنا وقراراتنا لا يمكنها الوصول لأي تقييم عقلاني أو تبرير أو نقد. ففي التأويل التطبيقي، نحاول أن نضع سلوكنا الماضي في مكان ذي مغزى وفي قصة حياة ذات مغزى. وفي الاعتبارات والحسابات اللاحقة نشارك أعمالنا وإغفالاتنا السابقة ونقيّمها فيما حسب المعايير أو القيم أو المثل العليا البديلة الممكنة التي نتعاطف معها، فنسجل من خلال سلوكنا الشكر والتقدير أو النقد والتوبيخ تجاه ذواتنا، ونمتن للآخرين على سلوكهم، أو نطالبهم بالمساءلة أو نسعى جاهدين إلى التسامح. وفي ما يتعلق بالخطاب الأخلاقي المتخصّص، يخلص الكتاب إلى أن في بعض ردود الفعل، نتعامل مع أنفسنا أو

الآخرين على أنهم الأشخاص المسؤولون عن سلوكهم ونتعامل مع ذات السلوك المعني على أنه شيء مرتبط بشكل محتمل بأسباب ومعايير عملية. إن ردود الفعل هذه مرتبطة بافتراض أن الشخص المعني كان قادرًا على شرح سلوكه على أسس ومعايير عملية، وعلى مراعاة تلك الاعتبارات التي قد نواجهها لاحقًا.

لذلك؛ يُدرك مؤلف هذا الكتاب أنَّ هذا النمط من البشر مخاطَبون مناسبون لردود الفعل والبيانات التي يشير فيها الفلاسفة إلى سلوكهم بالإشارة إلى الأسباب والمعايير العملية مثل الحكمة، والصواب، والملاءمة أو التأكيد أو النزاع أو الشك فيما هو معقول. ففي هذا الكتاب يدرس المؤلف معايير التوجيه ويربط هذه المعايير بالسلوك والمواقف العملية والمواقف والأحكام الخاصة بالكائنات المسؤولة وطبيعة المؤسسات التي ينشئونها، ذلك أن أساس الأخلاق هو استمرار هذه الجهود المنهجية والعلمية الدؤوبة، كما جاء في الفصل التاسع من هذا المؤلَّف.

ونخلُص بناءً على ما سبق إلى أنَّ الخطاب الأخلاقي يختلف عن المناقشات اليومية العملية؛ نظراً للمطالب باستخدام المصطلح، والفرضيات الصريحة والافتراضات والحجج الأساسية والتفسير المنهجي للمواقف الأخلاقية. وهي مطالب مناسبة ومعقولة من وجهة نظر المؤلف، لأنَّ الخطاب الأخلاقي يتعرض إلى الضغط من أجل اتخاذ القرارات والتوقعات الاجتماعية، ومن أجل فرض قيود بوصفها نقاشات يومية عملية.

ويعود مصطلح «الأخلاق» بوصفها فلسفة أخلاقية، إلى الفكر اليوناني القديم: العادة، والتقليد، والعرف، وكذلك يمكن ترجمتها على أنها طابع وسلوك. وخطاب أرسطو عن النظرية الأخلاقية يتطابق مع مفهوم شيشرون اللاتيني للفلسفة الأخلاقية. وعادة ما تُعرَّف الأخلاق حاليًا على أنها فلسفة أخلاقية أو انعكاس علمي على الأخلاق. على ضوء هذا التعريف المعياري، هناك ثلاثة تفسيرات ضرورية: أولاً: بالإضافة إلى التعريف المعياري المذكور، يمكن أيضًا العثور على استخدامات بديلة لمصطلح الأخلاق في المصادر والمراجع المختصة، ففي بعض الأحيان نميز بين علم الأخلاق والإيتيقا بطريقة منهجية ومختلفة. ثانياً: الحديث عن علم الأخلاق بوصفه فلسفة أخلاق «الشيء» لا يجب أن يُفهم على وجود فجوة بين الإيتيقا والأخلاق. فإذا كان علم الأخلاق معنيا بدراسة المبادئ الأولى التي يقوم عليها السلوك الإنساني، وهو المرجعية المعيارية للأخلاق؛ حيث تتمُّ الإحالة إلى التنظير لسلوك المجتمع ككل، فإن الإيتيقا تشير إلى السلوك الإنساني الذي يقصد فعل الخير وتحليله. وهنا، يتمُّ الحديث عن مبادئ أخلاقية تنظم سلوك الفرد البشري وعلاقته بالآخرين. على أن اللفظين يستعملان في واقع الأمر بمعنى واحد: العادات والسوك الأخلاقي. ثالثاً: لقد تغير مفهوم الأخلاق بشكل كبير منذ شيشرون وهو يتغير أيضًا اليوم بطرق مختلفة. وحتماً يوجد قلق في التعريف المعياري لعلم الأخلاق بوصفها فلسفة إيتيقية. لذلك تمت الإشارة إلى بعض التأملات حول مفهوم الإيتيقا. ففي الخطوة الأولى، يتم تقديم مفهوم واسع للإيتيقا، وهو ما يفي بالأغراض المنهجية لهذا الكتاب التعليمي. ثم يتم التمييز بين الفهم الواسع المقابل لعلم الأخلاق من خلال التمييز المشترك بين ثلاثة تخصصات

فرعية. ثم يتم تقديم اقتراحين لتعريف دقيق لمفهوم للأخلاق نوقشت على ضوء نتائجهما على دور الأخلاق. ويهدف هذان الاقتراحان إلى الإعلان عن محاولات بارزة للتعريف بالأخلاق والإيتيقا، وفي نفس الوقت التحسيس بالأهمية والإشكاليات والصعوبات والقلق الذي يطرحها التعريف.

يميل المؤلف إلى تقديم مفهوم أوسع للأخلاق والتخصصات الفرعية الأخلاقية. ويمكن فهم الإيتيقا على أنها مجموع أنماط السلوك التي يمكن تحديدها والمعايير السلوكية والمواقف المرتبطة بالسلوك والأحكام القيمية. والأخلاق بوصفها فلسفة الإيتيقا ستكون تخصصا واسعا، ونوعاً من العلوم السلوكية العامة. إن فهما أكثر تحديدًا نحصل عليه بالتمييز المألوف اليوم بين التخصصات الفرعية الثلاثة التالية لعلم الأخلاق: أولاً. الأخلاق الوصفية: وتصف أنماط السلوك الحالية، وقواعد السلوك والمواقف المرتبطة بالسلوك وأحكام القيم. ثانياً: الأخلاق المعيارية؛ تؤسس أو تنتقد أو تبرر السلوكيات والمعايير السلوكية والمواقف السلوكية، والأحكام القيمية. يمكن التمييز بين مجالين فرعيين فها: أ) الأخلاقيات العامة للقواعد أو المواقف أو الأحكام العامة والأساسية. وب) الأخلاق التطبيقية أو الخاصة بمجال معين؛ وتهتم بمجالات تطبيقية محددة. ثالثاً: الأخلاقية الفوقية: تهدف إلى توضيح أساسيات الاتصال وفهم المعايير السلوكية وأحكام القيمة السلوكية. تشمل الأخلاق الفوقية على وجه الخصوص: أ) مساهمات في فهم معنى النطق اللغوي أو تبرير أو نقد المعايير السلوكية أو المواقف المتعلقة بالسلوك والأحكام القيمية (دلالات اللغة الإيتيقية) ؛ ب) مساهمات في فلسفة علم الأخلاق المعيارية ونظرية معرفة الحقائق الأخلاقية و/ أو تبرير الأعراف السلوكية أو أحكام القيمة ذات توجه سلوكي (النظرية العلمية والمعرفية والنظرية التبريرية لعلم الأخلاق) ؛ ت) مساهمات في فهم طبيعة الظواهر الإيتيقية أو الحقائق الأخلاقية (الظواهر والمختارات الإيتيقية).

وتحسب الأخلاق الفوقية على مجالات علم النفس الأخلاقي.

ومن المتنازع عليه ما إذا كانت الأخلاق الفوقية يمكن لها الاحتفاظ بافتراضات الخلفية المعيارية والأخلاقية بشكل تام ومجاني (أطروحة الحياد). ومع ذلك، يحدث التمييز بين التخصصات الفرعية المذكورة، على الأقل فيما يتعلق بما يتبعها من اهتمامات المعرفة بشكل منطقي وغير إشكالي. ولا تهتم الأخلاق الفوقية في المقام الأول بتبرير المعايير السلوكية أو الأحكام القيمية؛ ففي لغة الحياة اليومية غالبًا ما يتم التحدث عن «الأخلاق» بمعنى الأخلاق المعيارية. وشمل مفهوم الإيتيقا مجموعة كاملة من أنماط السلوك الاجتماعي والآداب. وفي تاريخ الفلسفة الأخلاقية، تم تضييق مفهوم الإيتيقا، بدون اقتراح تعريف مقبول لدى المتخصصين. وما يمكن التحقق منه تاريخيا هو توافق الاتجاه نحو تعريفات أضيق لمفهوم الإيتيقا مع تمايز مجالات الممارسة الاجتماعية أو المؤسسات أو الأنظمة الوظيفية (خاصة القانون والسياسة والاقتصاد)، تنظمها قواعد داخلية وأهداف ذات طبيعة محددة، تدريجيًا تطورت إلى تخصصات علمية سلوكية. هذه هي الطريقة التي تطور بها علم الاقتصاد وتميز عن الفلسفة الأخلاقية العامة والفلسفة السياسية في القرن الثامن عشر، ولم يعد يعَرف نفسه بوصفه تخصصاً فرعيا لعلم الأخلاق. فإذا نظرنا إلى تعريف الأخلاق بوصفها فلسفة إيتيقية، ومع محاولات تحديد مفهوم الأخلاق، يتم تحديد كفاءات الأخلاق والحدود بينها وبين العلوم السلوكية الأخرى في نفس الوقت. لكن هذه الحدود تتنازع دائما بشكل متكرر داخل هذه التخصصات، وبينها.

في نهاية عرضنا لأهم الأفكار الواردة في هذا الكتاب، يمكننا الخروج بخلاصة مفادها أن هناك مجموعة من الشروط التي تحقق الاستخدام المتّسق للمصطلحات التقنية التي لها علاقة مباشرة بفلسفة الأخلاق؛ وهي سمة مشتركة للفلسفة، ونتيجة للتاريخ الطويل للأفكار وللمناقشات الفلسفية في لغات وسياقات ثقافية مختلفة. بالتالي تعتبر الأسئلة الاصطلاحية أكثر تشابكاً مع الأسئلة الواقعية. وتوضح الاعتبارات السابقة أن الخلافات في الفلسفة الأخلاقية تبدأ من المسائل التي تتعامل معها الفلسفة، والقرار بشأن أحد المصطلحات الأخلاقية مما يتيح فهماً أوسع للأخلاق بوصفها مجموع أنماط السلوك التي يمكن تحديدها والمعايير والمواقف السلوكية والأحكام القيمية المتعلقة بالسلوك، لأن اعتماد تضييق مفهوم الأخلاق لن يؤسس للنظريات الأخلاقية التي يناقشها هذا الكتاب، ولن يتيح تمييزاً دقيقاً بين التخصصات الفرعية للأخلاق الوصفية والمعيارية والفوقية، ورفعاً للقلق الذي يحوم حول مفهوم «الأخلاق».

الكتاب: «مدخل إلى علم الأخلاق»

المؤلف: ميشا هـ. فرنر

الناشر: ي. ب. متسلغ، هايدلبرج، ألمانيا، 2021

عدد الصفحات: 316 صفحة

*باحث في الدراسات الثقافية المقارنة (الرباط - المغرب)

إصدارات عالمية جديدة

اللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)

العيش في العوالم الافتراضية الجديدة

المؤلف: سيرج تيسرون
الناشر: دار دونود، باريس، فرنسا
تاريخ النشر: أغسطس 2022
عدد الصفحات: 256 صفحة

إن الأهمية المتزايدة للتقنيات الرقمية في حياتنا أمر مثير للقلق؛ بحيث صارت الآلات قادرة على إجراء محاورة البشر في عوالم افتراضية غامرة وتفاعلية (تسمى أحيانًا ميتافيرس) مما يبث مخاوف من نسيان أهمية الجسد والموت اللذين يشكلان أساس إنسانيتنا.

ومع ذلك، من الممكن بناء مجتمع متصل ومسؤول وخلاق. هذه هي الرسالة التي يقدمها لنا سيرج تيسرون في هذه المختارات من مقالاته التي كان يكتبها لمدونته على مدار العشرين عامًا الماضية؛ بحيث أخذ على عاتقه تنوير الرأي العام بتحليلاته الراهنة وعلى ضوء أحدث الأبحاث في العالم الرقمي، كما يدلنا على طريق لا يستبعد الرقمي والعرفان والمعاملة بالمثل التي تعتبر جوهر الحياة الاجتماعية.

علم النفس: النظرية والتطبيق

المؤلف: : تييرز كولينز، باتريك راتو
الناشر: دار دونود، باريس، فرنسا.
تاريخ النشر: يونيو 2022
عدد الصفحات: 300 صفحة

هذا الكتاب عبارة عن مقدمة تفصيلية لماهية علم النفس العلمي ومكانته المعرفية كعلم أنتجه الفكر البشري. يحدد أولاً ويشرح لماذا وكيف تأسس علم النفس كتخصص علمي في حد ذاته، ثم يعرض بطريقة تعليمية الأساليب الخاصة بالمنهج العلمي للظواهر النفسية وتطبيقاتها.

بالإضافة إلى ذلك، تشكل الروابط الرقمية المباشرة عبر الإنترنت، المخصصة للمعلمين عُدّة بيداغوجية في منتهى الأهمية، مما يثري الكتاب ويغنيه معرفيا. وهي تتكون من دليل لاستخدام الكتاب في الفصل، لكن ببداغوجية الفصل المقلوب أو المعكوس مع مقترحات لأنشطة تطبيقية مدمجة لتعزيز التعلم؛ بحيث يقوم الطلاب النشطون بتحديث دفتر الملاحظات وتقديم جميع الإجابات المساعدة على مراجعة الأسئلة المقترحة في النص.

ربما لا تسقط الأمراض من السماء

المؤلف: سيريل تاركينو **الناشر: دار نونود، فرنسا** **تاريخ النشر: مايو 2022** **عدد الصفحات: 208 صفحة**

هل هناك صلة حقيقية بين صدمات الطفولة والأمراض التي تصيب أجسامنا؟ بدون شك. الآلام المزمنة، الصداع النصفي، تقلصات المعدة، آلام الظهر، اضطرابات القلب والأوعية الدموية، السرطانات ... هذه الأمراض ليست فقط علامات جسدية على وجود اضطرابات في أجسامنا، بل هي أيضًا إشارة قوية على وجود شيء ليس على ما يرام في نفسيتنا.

بفضل علم النفس أو الطب أو علم الأعصاب، يدعونا المؤلف سيريل تاركينو إلى تسليط الضوء على حياتنا من منظور صحيح على تكويننا (وما يهدم تكويننا)، وكذلك على عوالم طفولتنا.

يجدر بهذا الكتاب الإنساني والاستبطاني والممتع أن يسمح لكل واحد منا بالتساؤل عن رحلتنا الشخصية وإرثنا التعليمي، لفهم سبب ما آل إليه الفرد في عصرنا الحالي.

اللغة الإنجليزية (محمد الشيخ)

تشاطر المعرفة

المؤلف : كريس كيلب ومونة سيميون
دار النشر: مطابع جامعة كامبريدج
سنة النشر: 2022

قلما يتم الانتباه إلى أن كتاب "المباحثات" الذي ألفه ابن سينا بمشاركة مع تلامذته تضمن أسس النظر في المعرفة المتشاطرة المشتركة؛ بحيث أن الشيخ الرئيس كان يجيب عن أسئلة طلبته المشغبة بما معناه: "فلننظر في هذا جميعنا " أو "فلنشارك في الجواب عن هذا". كما أن الصوفي أبا العباس السبتي جعل من "المشاطرة" مبدأ فكره وسلوكه. والحال أن الكتاب الذي بين أيدينا يعيدنا إلى هذا الأصل، حيث يطرح مسألة تأكيداتنا وإثباتاتنا وطريقة مشاطرتها مع الغير؛ ذلك أننا ما نفتأ نؤكد ونثبت، والتأكيد والإثبات هو حامل المعرفة المشتركة المتشاطرة. ولذلك؛ ينبغي أن يحظى بعناية خاصة: إذ من شأن الإثباتات الجيدة أن تقود إلى المشاركة الناجحة في تشاطر المعرفة. لكن ما التأكيد الجيد؟ والجواب أنه التأكيد الذي قصده أن تكون وظيفته مشاطرة المعرفة مع الغير، وليس الاستعراض أو التباهي أو حب الغلبة. ويسمي المؤلفان هذه المقاربة باسم المقاربة الوظيفية، وهي أساس وضع معايير إضافية تخص المتكلم والسامع في عملية بناء المعرفة المتشاطرة.

جون راولز والمصلحة العامة (الخير المشترك)

المؤلفة: تأليف جماعي
دار النشر: راوتلدج
سنة النشر: 2021

يأتي هذا الكتاب ليساهم في رفع اللبس الذي أثاره الفلاسفة الجماعيون ـ القوميون ـ باتهام راولز بتبني فلسفة فردانية ليبرالية تقدس الفرد وتهمل الجماعة. وتسعى مختلف فصول هذا الكتاب إلى بيان الصلة بين أهم مفاهيم المصلحة العامة ـ أو الخير المشترك ـ وأعمال جون راولز. ولذلك تراها تركز على حضور مفاهيم الجماعة والإيمان والأخوة والصداقة المدنية والمساواة بين الجنسين والمحبة والحرية السياسية الجماعية والاحترام والحس بالعدالة والفضيلة ... وكلها مفاهيم تشي بانهمام راولز بمسألة الخير المشترك. والمبغى من الكتاب على وجه الجملة إثبات أن مسعى راولز كان هو إيجاد توازن بين بعض الجوانب الفردانية من نظريته في العدالة وقيمة الجماعة وما تشترك فيه.

المثقفون في السياسة والعمل الأكاديمي

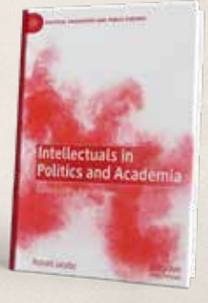

المؤلف : راسل جاكوبي **الناشر: بالغريف ماكميلان** **تاريخ النشر: 2023**

اعتقد لعقود مديدة في القرن العشرين أن النقاش حول "دور المثقفين" ـ بل وحتى حول مفهوم "المثقف" نفسه ـ إنما هو موضة فرنسية محضة بمبعد عن الأنجلوسكسون المنشغلين بالأمور الأكاديمية الصرفة، لكن منذ نهاية الثمانينات من القرن الماضي أشعل كتاب راسل جاكوبي المستفز: "آخر المثقفين: الثقافة الأمريكية في العصر الأكاديمي (1987-2000)" ـ وقد أدخل فيه مصطلح "المثقف العمومي" ـ شرارة الجدل في هذا الشأن. وها هو في هذا الكتاب يعيد الكرة مرة أخرى بتخصيصه فصول كتابه لتناول مسألة المثقفين العموميين وحدود إسهاماتهم وجوانب إخفاقاتهم، مركزا على وجه الخصوص على نعام تشومسكي وحنة أرندت وبرنار هنري ليفي، ومناقشا أمورا شأن مجادلاتهم في العنف واليوطوبيا والتعددية الثقافية.